جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب و اللغات
قسم الآداب واللغة العربية

مذكرة ماستر

تخصص : أدب عربي قديم
أ.ع.ق/24

إعداد الطالبة:
فاطمة الزهراء حسين

يوم:26/06/2022

جمالية فن الرسالة فى العصر العباسى "أَيُّهَا الوَلَدُ" لأبى حامد الغزالى -أنموذجاً-

---

لجنة المناقشة:

نوال أقطي	أ. د.	جامعة بسكرة	رئيسا
آمال دهنون	أ. مح أ	جامعة بسكرة	مشرفا و مقررا
محمد طراد	أ. مح ب	جامعة بسكرة	مناقشا

السنة الجامعية:**2021 -2022**

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةَ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ١٠﴾

سُورَةُ الكَهۡفِ.

إِعمَل أَنتَ بِمَا تَعلَم

لِيَنۡكَشِفَ لَكَ مَا لَم تَعلَم...

أبو حامد الغزالى-أيها الولد-

الإهداء

إلى من بلّغ الرسالة و أدى الأمانة و أزال الله به الغمة إلى النبى سيدنا محمد صلّى الله عليه و سلم.

إلى والدى: _ إلى من حملتنى وهناً على وهنٍ ريحانة قلبى أمـــــــــــى يا جنتـــــــــــى

- إلى الذى أحملُ اسمه بكل فخرٍ و إعتزاز حبيبى أبـــــــــــى الغـــالى

إلى جدتى: فهى الســـــــــعادةُ لى و ببابها أجد الأمان و عندها تزهو الدنيا و تبدو فرحتى

إلى إخوانى: (شهاب، إبراهيم، حسام، عبدو، ياسين) ضلعى الثابت و سندى فى هذه الحياة

إلى أخواتى: (تونس، إيمان، جويدة، سميحة، خولة، مروة) يا حزام ظهرى و كيانى محبةً و وفاءً...

إلى حبايب خالتو: (براء، جورى، دودى، أنفال) يا قطعة من رووحى ربنا يعطيكم أيام بيضه مثل صفاء قلوبكم يا قلبى...

إلى صديقتى: رفيقة دربى و أختى الثانية مجده...

و إلى كل من له فى الوجود رسالة.

حسين فاطمة الزهراء

شكر و عرفان

انطلاقا من قوله صلى الله عليه و سلم من لم يحمد النّاس لم يحمد الله، و عملاً بأدب الشّكر الذى يطيب للمسلم التّحلى به، فإنّى أحمده سبحانه حمداً يليق بجلاله و كرمه على ما منَّ على من إتمام الأمر، فله الحمد و الشكر.

ثُم أتقدمُ بالشكر و العرفان إلى من لم تتوانى فى تقديم النصح و الإرشاد، و لم تذخر جهداً و لا وقتاً إلّا و بذلته خدمةً لهذا البحث، أستاذتى الدكتورة آمال دهنون، فقد سُعدت بتوجيهاتها الثمينة، و متابعتها الحثيثة، فجزاها الله عنى خير الجزاء...

كما لا يفُوتنى أن أشكر أساتذة قسم الآداب و اللغة العربية –جامعة بسكرة-، خصوصاً أعضاء اللجنة العلمية تفضّلاً بقَبول تصوّر المذكرة و مناقشتها، و لما سيقدمه أعضاء لجنة المناقشة من نصائح و توجيهات لها بالغ الأثر فى إثراء هذه الرسالة و ما بعدها.

و أشكر كل من ساندنى و وجهنى من قريب أو بعيد.

و آخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين

حسين فاطمة الزهرّاء

مقدّمة

الحَمْدُ للَّهِ خَالِقِ العِبَادِ وَ الصّلَاةُ وَ السَّلَام عَلى أَفْضَلِ مَنْ نَطَقَ بِالضَّادِ

سَيّدنَا مُحَمَدٍ وَ عَلَى آلِه وَ صَحْبِهِ وَ سَلَّم.

و بعد: يمثل العصر العباسيّ "عصراً خطيراً" حقا –على حد قول شوقي ضيف– في تطور النثر العربي الذي راح يحاكي سُنناً من طبائع الحياة في ذلك العصر.

و لا يخامر الإنسان أدنى شك أن فنّ الرسالة بوصفه جنساً من أجناس النثر الأدبي، إكتسب دوراً ريادياً في هذا العصر، لثرائه و تنوع أنساقه(سياسية، اجتماعية،...)، و إستطاع من خلاله جهابذة الكُتَّاب و البلغاء التعبير عن التجربة الإنسانية و إعادة تشكيل الواقع بصيغٍ و معايير تحقق الكفاية الجمالية للمتلقي، و التي تجعله يتذوق و يتفاعل مع ما يقرأ من حيث إن الإنفعال هو ميلادُ كل تجرُبة جمالية.

و على أية حال يعلم كل منا أن لكل نصٍ أدبيٍّ بُعد جماليّ، بحيث تتحقق المتعة الجمالية في النص ذاته من خلال الإنسجام بين شكل العمل الفنيّ و جمال الفكرة، و كل ذا قد تجسد في رسالة "أيها الولد" لأبي حامد الغزالي، و المُعايش لنص الرسالة يجد فيها سرّ القفزة الجمالية القائم أساساً على وجود علاقات تربط بين شكل العمل و الفكرة أو بين الدال و المدلول وفق نظام جماليّ متكامل.

و قد كان التعطُش إلى إدراك جماليّة الرسالة دأبي و ديدني من أول أمري، فجعلت بحثي موسوماً ب:" **جمالية فن الرسالة في العصر العباسي رسالة "أيها الولد" لأبي حامد الغزالي –أنموذجاً–**"، هذه الرسالة التي حُبّرت في عصر بزوغ هذا الفنّ النثري مثلت الجمال الأدبي في أبهى صورة كيف لا! و قد انجذبت إليها الأنفس، و انطبعت في الذاكرة، و خلّدها التاريخ.

و شدني الفضول و دفعني إلى البحث في هذا الإرث التاريخي الأدبي لشغفي بالأدب النثري أولاً، و ما طبعته الرسالة في نفسي من حيث الموضوع الذي تناول الأخلاق و تعديل السلوك، و لأتذوق أيضاً مكامن الجمال الذي جذبني نحوه، و كذا لقلة

الدراسات التي عنيت بالنثر الأدبي و هذه الرسالة –على وجه الخصوص– من حيث الكشف عن جمالية نصها.

و من هذه المنطلقات طرحت التساؤلات الآتية:

- كيف بُنيت رسالة "أيها الولد" ؟
- السر في هذا التعلق السحري الغامض بين القارئ و رسالة "أيها الولد" على الرغم من إختلاف الأزمنة؟
- ما السمات الجمالية التي تختزنها رسالة "أيها الولد"؟

و قد حاولت في هذه الدراسة الإجابة عن التساؤلات المطروحة سابقاً من خلال

هيكلتي لخطة بحثٍ ممنهجة وفق طبيعة الموضوع بادئةً بمقدّمة و مدخل نظري تمهيدي عبارة عن قراءة شاملة لمفاهيم تتعلق بالدراسة و عنون ب: "**قراءة لفنّ الرسالة في العصر العباسيّ**" تناولتُ فيه مفاهيم عامة، حاولت تعريفها لغةً و إصطلاحاً كالجمالية و الرسالة و أسقطت هذه المصطلحات في العصر العباسيّ، قصد تسهيل الدراسة أولاً باعتبارها مفاتيح تسهل على القارئ الإدراك، و فصلين تطبيقيين مكمليّن للمدخل التمهيدي، متبوعين بخاتمة تلخص أهم النتائج المتّوصل إليها في الدراسة.

أما الفصل التطبيقي الأول فجاء بعنوان: **جمالية الشكل و المضمون لرسالة "أيها الولد"**، أظهرت من خلاله العناصر المشكلة لبناء الرسالة و المتمثلة في:

1. الشكل، 2. المضمون، و دراسة كل عنصر و ما يحتويه من جزئيات على حده.

في حين جاء الفصل التطبيقي الثاني موسوماً ب: "**جمالية السمات البنائية في رسالة "أيها الولد"**، وقفت عند أبرزها: أولاً: السمات اللغوية و الأسلوبية، ثانياً: السمات الإيقاعية، و ثالثاً: السمات التصويرية.

و في نهاية البحث قُدِّمتُ أهم النتائج التي خرجت بها هذه الدراسة، مُتبعةً بملحق يقدم لمحة عن الشيخ العلامة "أبي حامد الغزالي" (مولده و نشأته...)، و لمحة أيضاً عن كتاب "أيها الولد"(وصفه و مكانته بين آثار الغزالي...).

و حتى تكون هذه الخِطّة ناجحة انتهجتُ المنهج الوصفي المتضمن أداة التحليل الذي كان الأنسب في التحري و التقصي عن مكامن الجمالية في الرسالة، كما أحيطكم علماً أنه تم الاستئناس ببعض المناهج الأخرى: كالتاريخي و الأسلوبي في كثيرٍ من مواطن هذه الدراسة.

جامعةً إثرَ ذلك مادّةً علميّةً منسوبة إلى مواردها و مأخوذة من مضانّها، و من أهمها: تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف (بكل عصوره: العصر العباسي الأول و العصر العباسي الثاني...)، و كتاب الصناعتين "الكتابة و الشعر" لصاحبه أبي هلال العسكري، و كتاب الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع للهجرة لكاتبه غانم جواد رضا الحسن، و بالطبع المصدر الأساس كتاب أيها الولد لحجة الإسلام الغزالي، قطب رحى هذه الدراسة و الإطار الأهم فيها.

و معلوم أن أفضل الأعمال ما كان مُتقناً، و يسعى المرء لإخراجه في أبهى حلة، لكن تبقى العقبات و العوائق حائلةً دون ذلك، و دراستي هذه كغيرها من الدراسات، إعترضتها عوائق منها: كثرة الآراء و تضاربها في بعض الأحيان ممّا يؤدي إلى حيرة الباحث و وقوفه أمام تباين المعارف و إختلافها في المجال الواحد، بالإضافة إلى ندرة الدراسات التي تناولت هذه الرسالة من حيث الجمالية.

و في الختام فإني بذلتُ ما وسعني من جهدٍ كي يخرج هذا البحث في ثوبٍ علمي مقبول، آملُ أن يكون ما قمتُ به من جهدٍ مرضياً، كما لا أنسى أن أتوجه بفائق الشكر و الإمتنان، لأستاذتي الفاضلة الدكتورة آمال دهنون على مجهوداتها المبذولة في الإشراف على البحث، جزاها الله عنا خير الجزاء و بارك الله فيها.

وَ مَا تَوفِيقِي إِلّا بِاللَّه وَ الحَمدُ لِلَّه رَبّ العَالَمِين.

المدخل:

قراءة لفنّ الرسالة فى العصر العباسىّ

- أولاً: مفهوم الجمالية.
- ثانياً: مفهوم الرسالة.
- ثالثاً: فنّ الرسالة فى العصر العباسىّ.

تعددت أشكال النثر الفنّي في العصور القديمة، و إنصرفت الأذهان إليها و وجدنا لنا نثراً يتسعُ و يتطورُ مع إزدهار الحضارة العربية حتى لازمها حاملاً همومها و ناقلاً صورها عبر الكلمة الموجهة، فكانت الرسالة أصل من هذا الفنّ تبوأت مكانتها بين الأجناس النثرية، و كان –بحق– العصر العباسي أزهى عصورها حيث بلغت شأوًا بعيدًا من الجودة و الغزارة و التنوع حتى طفقت تداني فنّ الشّعر، و وقفت فنًّا شامخًا يصور آفاق الحياة المختلفة، و أضحى كُتابُها يهيئون لها لمساتٍ فنّية ساحرة أبرزت جماليّتها.

- **أولاً: مفهوم الجماليّة:**

تسعى الجماليّة للبحث عن القيمة الحقيقية للأعمال الأدبية من خلال تصوير الأفكار و المعاني و المشاعر الإنسانية و تحليلها و تجسيدها بكل عمقٍ و وضوح، لتستمد هاته الأعمال قيمتها من ذاتها. فما هي الجماليّة؟

1. الجماليّة لغة:

إذا بحثنا عن حقيقة مصطلح الجماليّة في المعاجم اللغوية فإننا سنجد أنّ له علاقة بمصطلح الجمال، حيث جاء:

في لسان العرب: «الجمال مصدر الجميل، و الفعل جمل الحسن يكون في الفعل و الخلق و قد جَمُلَ الرَجُلُ بالضّم جمالاً فهو جميل و جمال»[1].

و جاء في معجم المُنْجِد في اللغة و الأعلام: «الجمال (مص): الحُسن»[2]. فالجماليّة تعني الحُسن و الجودة.

2. الجماليّة اصطلاحًا:

مما جاء في تعريفها: الجماليّة نزعة مثالية تبحث في الخلفيات التشكيلية للإنتاج الأدبي و الفنّي(...)، فكل عصرٍ ينتج جماليّة، تساهم فيها الأجيال و الحضارات و

[1]: جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير و آخرون، دار المعارف القاهرة، د.ط، د.ت، ج2، ص: 685.

[2]: لويس معلوف، المُنْجِد في اللغة و الأعلام، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، د.ط، د.ت، ص: 102.

الإبداعات الأدبية و الفنّية فعندما حكمنا على شيء بأنه جميل أو قبيح فانّه يتم بمدى تأثر حواسنا[1].

و أيضاً: «تعرف الجماليّة (Aesthetic) على العموم بأنها فرع من فروع الفلسفة، يهتم بالفنون، و لاسيما بالتلقي الحسي الإدراكي للفنّ. و هي تهتم أيضا بعمومية أكبر بالإدراك الحسي في الطبيعة و في الحياة اليومية. و هكذا ترتبط بأفكار مثل تراسل الحواس»[2].

و يقول عبد المنعم خفاجي متحدثا عن جمال الكلم: «وسعت الجمال في الكلام قد يكون في معانيه و دقتها و عمقها و روعتها، و قد يكون في ألفاظه و سحرها و فصاحتها و عذوبتها أو فخامتها و قد يكون في ألفاظه و معانيه جميعًا، و ذلك أتمُ لبلاغة الكلام، و أجمع لسحره و تأثيره و ادعى لخلوده و بقائه على أمد العصور»[3].

و عليه فالجماليّة مقياس لجودة العمل الأدبي و بها يلقى حظه من القبول و الإعجاب و الخلود، و بها تخرج النصوص الأدبية من التجريد أو من كونها نصوصًا يقصد صاحبها مجرد الإفهام، بل زيادةً على ذلك و بمجرد إدخال هذا العنصر المهم الجماليّة إلى دائرة النصوص الأدبية ، فإنها تثير في القارئ اللذّة و الإحساس بالجمال المختبئ بين حنايا النص (الإحساس بحُسن النّص و جودته، و إضفاء لذة القراءة لدى القارئ).

فالجماليّة تُعنى بتجويد المعنى و تخيُّر ما يتصل منها بالموضوع و ما يناسبه من دقة و حسن تركيب و تأني في إختيار اللفظ قبل إبرازه، فيخرجُ العمل الأدبي مُحبّرٌ مُجَوَّدٌ عفوي القريحة من غير تكلفٍ و لا إستكراه و لا إستغراب.

---

[1]: ينظر: سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1985، ص: 62.

[2]: طوني بينت، و آخرون، مفاتيح إصطلاحية جديدة(معجم مصطلحات الثقافة و المجتمع)، ترجمة: سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، د.ط، 2010، ص: 250-251.

[3]: محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992، ص: 4.

▪ ثانياً: مفهوم الرسالة:

الرسالة جنس أدبي قائم بذاته، تحمل أدوار و وظائف في شتى مجالات الحياة الأدبية (الإجتماعية، السياسية، الدينية،...).

1. الرسالة لغة:

يعود اشتقاق لفظة (رسالة) إلى المادة اللغوية (ر–س–ل)، تطرقت إليه معاجم اللغة العربية فذكره:

❖ ابن منظور في لسان العرب: «الرَّسَلُ: القطيع من كل شيءٍ، و الجمعُ أرسالٌ(...) و الرَّسَلُ: الإبل(...)، و الرَّسَلُ: قطيعٌ بعد قطيع(...)، و راسَلهُ مُراسلةً فهو مراسلٌ و رسيلٌ.

و التَّرَسُلُ كالرِّسْلِ. و التَّرَسُّلُ في القراءة و التَّرسيلُ واحدٌ، قال و هو التحقيقُ بلا عجله، و قيل: بعضه على إثر بعض.

و اللإرسَالُ: التَّوجيهُ. و قد أرسَل إليه، و الاسم الرِّسالةُ و الرَّسالةُ و الرَّسُول و الرَّسيلُ.

و قال أبو إسحاق النحوي في قوله عزَّ و جل حكايةً عن موسى و أخيه: ﴿فَقُولاَ إنَّا رَسُولُ رَبِّ العالَمينَ﴾، معناه إنّا رِسَالةُ ربِّ العالمين، أي ذَوَا رسالةِ رَبِّ العالمين»[1].

❖ و جاء في تاج اللّغة و صحاح العربية لأبي نصر الجوهري: في مادة رَسل بقوله: راسَلَه مُرَاسَلةً فهو مُراسِل و رسِل، و أرسَله في رسالة فهو مُرسَل و رَسُول(...)، و الرّسولُ أيضاً و الرّسالة»[2].

---

[1]: : ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص: من1643 إلى 1645.

[2]: أحمد عبد العزيز الجوهري، تاج العروس و صحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار،مطبعة بولاق، مصر، ط2، 1957، ص: 101.

❖ و جاء في معجم المُنْجِد في اللغة و الأعلام: «رسل: أَرْسَلَ القول: لم يقيّده(...)، تَرَسَّلَ: أي انشأ الرسالة ادّعى انه رسول(...)، الرِسَالة و الرَسَالة ج : رَسَائل و رِسالات: الاسم من أَرْسل الصحيفة التي يُكتَب فيها الكلامُ المرسَل»[1].

و لا بد من الإشارة إلى أنّ لفظة الرسائل إكتسبت قديمًا أشكالًا عدّة من المسميات فأطلق عليها مثلًا: المكاتبات، الجوابات، المراسلات، الترسل و الترسيل، و المكاتبات الرسائلية و الألوكة و نحو ذلك.

الظاهر من المعاني اللغوية السالفة الذكر في أمهات المعاجم، أنّ "الرسالة" تعنى بضرورة الإخبار و هي عملية تواصل و اتصال من أجل إيضاح القصد، و تأتي على هيئة مخصوصة، كما أنّها تعني الرفق و التُؤَدة و التمهُّل و التحقق.

2. الرسالة اصطلاحاً:

لقد تعددت مفاهيم "الرّسَالة "، و اختلفت التعريفات لهذا الفنّ المُتَأصِّل منذ القدم بين الأجناس النثرية، و ممّا جاء في تعريفها:

«الرسالة فنّ قائم على خطابٍ يوجهه شخص إلى شخص آخر، أو يوجهه مقام رسمي إلى مقام رسمي آخر»[2].

و تقول آمنة الدهري: و الرسالة تواصل مع الآخر و تعبير عن الذات الكاتبة، مغالبة منها للبعد و الغياب، و هي وسيلة اتصال و تواصل بين غائب، و الرسالة هي محادثة مكتوبة بين شخصين متباعدين[3].

---

[1]: لويس معلوف، المُنْجِد في اللغة و الأعلام، ص: 259.

[2]:حسين غالب، بيان العرب الجديد، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1971، ص: 181.

[3]: ينظر، آمنة الدهري، الترسل الأدبي بالمغرب "النص و الخطاب"، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالمحمدية، المغرب، ط1، 1993، ص: 103.

و في تعريف آخر: «الرسالة هي ما يكتبه امرؤ إلى آخر معبراً فيه عن شؤون خاصة أو عامة و ينطلق فيها الكاتب –عادة– على سجيته بلا تصنع و لا تأنق، و قد يتوخى حيناً البلاغة، و الغوص في المعاني الدّقيقة فيرتفع بها إلى مستوى أدبي رفيع»[1].

و جاء أيضاً في تعريفها: «قطعة من النثر الفنّي تطول أو تقصر تبعاً لمشيئة الكاتب و غرضه و أسلوبه، و قد يتخللها الشّعر إذا رأى لذلك سبباً، هذا الشعر من نظمه أو ممّا يستشهد به من شعر غيره، و تكون كتابتها بعبارة بليغة و أسلوب شيّقٍ، و ألفاظٍ منتقاةٍ، و معانٍ طريفة»[2].

و قيل أيضاَ: «أنّها كتابة أدبية تُخرج المعاني و الأفكار في صورة تعبيرية جميلة، عاطفية مؤثرة مصاغة على قواعد أسلوبية ملتزمة، لها غايات معنوية عليا»[3].

و قد وردت لفظة "رّسالة" في سياقات عدّة في كتاب الله افرادً و جمعًاً، و من ذلك قوله سبحانه مخاطباً رسول الله﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٩٢﴾(سورة المائدة).

و جاء في موضع آخر في كتاب الله على لسان النبي صالح عليه السلام مخاطباً قومه: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ قَدۡ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٥٣﴾(سورة الأعراف).

و وردت بصيغة الجمع في قوله تعالى:﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ٣٩﴾(سورة الأحزاب).

---

[1]: جبور عبد النّور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1972، ص: 122.

[2]: عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1976، ص: 448.

[3]: محمود رزق سليم، الأدب العربي و تاريخه في عصر المماليك و العصر الحديث، مطابع دار الكتاب العربي، القاهرة، د.ط، 1957، ص: 30.

هذه الآيات الكريمة تحمل دلالة أنّ الرسالة هي عملية إبلاغ و إخبار لمقاصد معينة، تأتي من عند الله موجهة لعباده عن طريق رُسله الكرام.

و ممّا سبق يتضح لنّا أنّ الرسالة شكل من أشكال الخطاب الكتابي النثري الموجه، تطول أو تقصر لمشيئة الكاتب و غرضه و أسلوبه، قد يتخللها آي من القرآن الكريم أو أحاديث نبوية أو أمثالٍ أو أشعار إذا رأى الكاتب حاجة لذلك.

إنّها فنّ أدبي مُتأصل منذ القدم أضحى مع مرور الزمن و تعاقب العصور ينافس الشِّعر، لتميزه بالبلاغة و الفصاحة و إنسجام ألفاظه الخاصة مع جنسه الأدبي، فنجد حلاوة و عذوبة و رقة و سهولة في مخارج الكلام، تعزز الدلالة و تعمقها و ترفعُ القدرة الإقناعية و التأثيرية التي هي الأساس و المقصدُ الأول من الكتابة "التواصلُ و الإخبار"، على غرار إبراز جماليّة النص بالقدرة على تصوير الأفكار و المعاني و المشاعر الإنسانية و تحليلها و تجسيدها بكل عمقٍ و وضوح.

- **ثالثاً: فنّ الرسالة في العصر العباسيّ:**

إنهارت الدولة الأموية و قامت على أنقاضها الدولة العباسية التي امتد حكمها نيفًا و خمسة قرون «من سنة 132ه حتى سقوط بغداد بيد هولاكو قائد المغول 656 ه، 750-1258م»[1]. و كانت المملكة الإسلامية خلال العصر العباسي تشمل المغرب و مصر و الشّام و جزيرة العرب و العراق و فارس و ما وراء النهر و السند، و كان لكل من هذه الأقطار عاداته و مزاياه الخاصة ، و لكن كان يجمع بينها الدين المشترك، و الروح الشرقية، و سيادة اللغة العربية، و الخضوع لخليفة بغداد[2].

و يبدو أنّ هذا العصر هو أزهى عصور اللغة العربية، «بلغت فيه ذروة الكمال رصانةً و اتساعًا و جمعًا لمّا تفرق من محاسن اللغات»[3]، «فكان أرقى العصور التي

[1]: إحسان النص، و آخرون، الرائد في الأدب العربي، المطبعة الهاشمية بدمشق، ط1، د.ت، ص: 466.

[2]: ينظر: المصدر نفسه، ص: 466.

[3]: محمود مصطفى، الأدب العربي و تاريخه في العصر العباسي، مطبعة مصطفى الحلبي و أولاده، مصر، ط2، 1937، ج2، ص: 4.

مرت على الأمة الإسلامية فكريًا و فنّيًا، ففيه ازدهرت العلوم و نشطت الفنون(...)، و كان عصر حرية فكرية أتاحت ظهور مذاهب فكرية و فلسفية متنوعة(...)، حتى وصف الجاحظ حرية الفكر في عصره بقوله: و قد أمكن القولُ، و صلح الدهر، و خوى نجم التقيد، و هبّت ريح العلماء، و قامت سوق البيان و العلم...»[1]، «و تمّ للغة في هذا العصر ما لم تجتمع لها مثله في زمن ما، إذْ نشأت أغلب العلوم الإسلامية(...)، و لعلّ أهم مظاهر هذا العصر أن الدرجة التي وصلت إليها اللغة فيه نظمًا و نثرًا لم يحز فضيلتها عصر سابق، و لا طمع في مُساماتها لاحق، «هذا العصر هو العصر الذهبي للعلوم و التأليف»[2]، و لقد تطور فيه النثر الفنّي تطورًا بارزًا "عصر خطير" حقًا في تطور النثر العربي –على حدّ قول شوقي ضيف–، «أظهر النثر مرونةً واسعة(...)، و غدا كمجرى نهر ترفده جداول من ثقافات متنوعة تنوعًا لا يكاد يُحَدُّ أو يحصى»[3]، و من هذه الثقافات المُشَكِلة لهذا النثر الفارسية و الهندية و اليونانية...، هذا التمازج و التفاعل بين الثقافات «كان إيذانا بتعدد شعب النثر العربي و فروعه، فقد أصبح فيه النثر العلمي و النثر الفلسفي(...)، و النثر الأدبي الخالص»[4]، و النثر الفنّي « تبوأ في هذا العصر مكانةً رفيعةً و ساميةً، إذْ بلغ شأوًا بعيدًا من الجودة و الغزارة و التنوع حتى طفق يدانّي فنّ الشّعر»[5].

«و يتناول النثر الفنّي في الأدب العربي العديد من الموضوعات و التي من بينها الرسائل»[6]، «و الرسائل فنّ قديم و أصل من فنّون النثر، لا يقل أهمية و شهرةً عن غيره من الفنون الأخرى»[7]، و لقد نبغ فيه جمهرة من الأدباء الكُتَّاب من أمثال: «ابن المقفع

[1]: إحسان النص، و آخرون ، الرائد في الأدب العربي، ص: 475.

[2]: المرجع نفسه، ص: 18.

[3]: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، دار المعارف القاهرة، مصر، ط8، د.ت، ص: 441.

[4]: المرجع نفسه، ص: 422.

[5]: ينظر، غانم جواد رضا الحسن، الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع للهجرة العراق و المشرق الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2011، ص: 8.

[6]: عمر الدسوقي، نشأة الفن و تطوره، دار الفكر العربي، بيروت–لبنان، ط2، د.ت، ج1، ص: 105.

[7]: حسين بيوض، الرسائل السياسية في العصر العباسي الأول، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، د.ط، 1996، ص:5.

كاتب في دواوين الحكام و الأمراء«ت142ه أو 143ه أو 145ه»[1]، و قد إشتهر بكتابة الرسائل الديوانية(السّياسية)، و سهل ابن هارون«ت215ه»[2]، يقول الجاحظ: «و من الخطباء و الشعراء الذين جمعوا الشّعر و الخطب و الرسائل الطوال و القصار و الكتب الكبار المجّلدة و السيّر الحسان المدونّة و الأخبار المولّدة سهل ابن هارون»[3]، و الجاحظ«ت 255ه[4]»، «الذي يوضع على رأس كتَّاب العصر العباسيّ بغير مدافع و لا منازع»[5]، «و هو يمتاز بأنه لم يترك موضوعًا إلّا و كتب فيه رسالة أو كتابًا(...)، و إنّ في هذا ما يدل على أنّ الجاحظ خطا بالكتابة الفنّية عند العرب خطوةً جديدة نحو التعبير عن الموضوعات في خلابة و بيان عذب»[6]، و من ذلك أيضًا الكاتب والفذّ و العلامة الشيخ أبو حامد الغزالي«ت 505ه»[7] ،و الذي إشتهر بكتابة الرسائل الأدبية الطوال و القصار و منها: رسالة القسطاس المستقيم و رسالة منهاج العارفين و رسالة أَيُّهَا الوَلَدُ و التي هي محور دراستي.

و تنقسم الرسائل الفنّية إلى أقسام بحسب الموضوعات التي يتناولها و يعالجها كُتَّابُها و التي إشتهرت في هذا العصر فنجد:

- **الرسائل السياسية(الديوانية):** «الرسائل السياسية الكتب التي تكون بين الملوك و الحكام و الأمراء و الولاة و القواد، و بمعنى آخر الرسائل ذات الطابع الرسمي،

التي دعيت في العصور المتأخرة بالسلطانيات(...)، و موضوعات تلك الكتب تتصل بسياسة هؤلاء و أنظمة حكمهم، و تصريف شؤون الدولة و حكامها، و تنظيم العلاقات مع الدول المجاورة. و لأهمية هذه الرسائل السياسية أصبح لها ديوان خاص بها في وقت

---

[1]: شوقي ضيف، الفنّ و مذاهبه في النثر العربيّ، دار المعارف، القاهرة، ط10، 1983، ص: 138.

[2]: المرجع نفسه، ص: 144.

[3]: المرجع نفسه، ص: 148.

[4]: المرجع نفسه، ص: 159.

[5]: المرجع نفسه ، ص: 154.

[6]: المرجع نفسه ، ص: 160-161.

[7]: زكي مبارك، الأخلاق عند الغزالي، دار الشعب للصحافة و الطباعة و النشر، القاهرة، 1924، ص: 65.

مبكر، فلذلك نسبت إليه، فسميت بالرسائل الديوانية»[1]، «كما كثرت الدواوين و تعددت أنواعها في العصر العباسي منها ديوان الخراج، ديوان النفقات، و ديوان الضياع و ديوان الرسائل»[2]، «و معروف أنّ أول كاتب نابه يلقانا في العصر هو إبراهيم بن العباس الصولي الذي حرّرَ أكثر ما صدر عن المتوكل من منشورات و كتب ورسائل في الفتوح»[3]، و من الكُتّاب أيضًا في عهد المنتصر أحمد بن الخطيب(...)، و كان من الرسائل التي كتبها في الجهاد يقول فيها:﴿انْفِروا خفَافًا و ثِقالًا و جَاهِدوا بأمْوالكُم و أنَفُسكمْ في سَبِيل اللهِ ذَلِكمْ خيرٌ لكُمْ إنْ كُنتُم تَعْلمُونَ﴾. و ليست تمضي بالمجاهد في سبيل الله حالٌ لا يكابد في الله نصبًا و لا أذى، و لا ينفق نفقةً و لا يقارع عدوًّا، و لا يقطع بلدًا(...)، و صياغة الكتاب جزلة رصينة، و فيها محاولة واضحة للدقة في التعبير و أنّ يروق السمع و الذهن، و لكن لا يسجع، و إنّما بعبارات متوازنة متقابلة[4]، و عليه فالرسائل الديوانية هي الرسائل الرسمية التي تصدر عن الديوان في أمور الدولة العليا.

- **الرسائل الإخوانية:** لقد إزدهرت الرسائل الإخوانية آنذاك. إذْ إتخذها الأدباء لتصوير عواطفهم و مشاعرهم في الخوف و الرجاء و الرهبة و الرغبة و المديح و الهجاء و التهاني و العتاب و الإعتذار و الإستعطاف و التعزية و الإستمناح[5].

و تَحْمل كتب الأدب كثيرًا من الرسائل الإخوانية لكتَّاب بارعين، حققوا من الجودة و الإتقان في نصوصهم ما جعل صداها يلُوح في زماننا هذا، و من ذلك نذكر: رسالة الحسن بن وهب كتب إلى اسحق بن إبراهيم يعزيه،عن يحي ابن خاقان يقول: «صرف الله المكاره كلّها عن الأمير، و أبعدها عن جنابه و مقرِّ داره، و لا فَجعَه بوَليّ يؤَيد عِزَّه، و يُنهي بفضائله ...[6]».

---

[1]: حسين بيوض، الرسائل السياسية في العصر العباسي الأول، ص: 5.

[2]: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني، دار المعارف، مصر، ط2، د.ت، ص: 550.

[3]: المرجع نفسه، ص: 551.

[4]: ينظر، المرجع نفسه، ص: 552.

[5]: ينظر، المرجع نفسه، ص: 562.

[6]: أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده، القاهرة، د.ط، 1938، ج4، ص: 30.

و الجدير بالذكر أنّ الرسائل الديوانية تختلف عن الرسائل الإخوانية من حيث صياغتها و بناءها بحيث الأخيرة لم يُشترط فيها الدقة، فقد أطلق العنان للكاتب فيها معبرًا عن مشاعره دون قيّدٍ، و لم يتكلف أصحابها في الخطاب، كل هذا و أكثر ساهم في إثراء الجماليّة الأدبية في نصوصها و أقبل التخييل و الصور البيانية و الصنعة البديعية ميزة من ميزاتها.

- **الرسائل الأدبية:** هذا النوع الأخير و الذي شاع كثيرًا خلال هذه الحقبة، و نعني بالرسائل الأدبية «التعبير الصادق عن انفعالات الأديب الفنان، و انعكاسًا عن جميع الظروف و الملابسات الخارجية المحيطة به»[1].

الرسائل الأدبية يكتبها البلغاء، «يسجلون فيها خواطرهم و يدونون آرائهم فيما يُعنَ لهم من شئون الاجتماع أو الفكر أو الأدب، أو يعملون على تأييد مذهب و تفضيل فريق على فريق، أو يكتبونها في الترويح عن النفس أو الفكاهة أو السخرية، و نحو ذلك، مما يتجلى في السير و الأسمار و الخرافات و الأخبار و القصص(...)، كرسائل ابن المقفع، و ككتب الجاحظ و رسائله مثل البخلاء و التربيع و التدوير و الحاسد و المحسود و مناقب الترك»[2]، فالرسائل الأدبية تظهر مشاعر الكاتب الصادقة، و تتوارد خواطره فيها بلا ترتيب و لا انتظام، يخاطب فيها الكاتب إنسانا مخصوصًا أو يوجهها إلى عامة الناس، و قد يخاطب فيها الجماد (من طير و شجر...) بلسان القلم، تأتي صياغتها في غاية من التجويد و الإتقان –وجدانية–حانية–مؤنسة، كما تكثر فيها أساليب البلاغة و جماليّتها الفنّية التي يتبعها أصحابها لبسط قناعاتهم على نمط التحليل و المناقشة و التعليل، و يُعنى أشد العناية بصياغة الكلام فيها لتأتي على نسجٍ و رَّصفٍ متينٍ دقيقٍ جزيل العبارة، يتخلله السجع «فقد أخذ يشيعُ في الرسائل الأدبية الخالصة، و كان الجاحظ قد أشاع في تلك الرسائل أسلوب الازدواج المعروف به، غير أنّ من تَلَوْه في القرن الثالث

[1]: غانم جواد رضا الحسن، الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع للهجرة، ص: 17.

[2]: محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي و تاريخه في العصرين الأمويّ و العباسيّ، القسم الثاني: الحياة الأدبية في العصر العباسي الأول(132–334هـ)، دار الجيل، بيروت–لبنان، د.ط، د.ت، ص: 306.

الهجري أخذوا يدخلون عليه السجع و يكثرون منه»[1]، كما تفنّنوا في إخراجها بأسلوب بيانّي يصوِّر عواطفهم و أهوائهم، «و أجروا فيها الطّباق و التّقابل و الإستعارات و الصّور و الرصّف الدّقيق للعبارات، و النسيج المتين»[2]، و أعلام الكتاب في العصر ابن المقفع(رسالة الصحابة) و سهل ابن هارون(رسالته في الاحتجاج للبخل) و الجاحظ (الحاسد و المحسود) و أبو حامد الغزالي(رسالة أيها الولد) و غيرهم الكثير.

إنّ من يتتبعُ حال الكتابة(كتابة الرسائل) في العصر العباسي –على إختلاف مراحله– يجد أنّها بلغت من الرقي و السمو ما لم تبلغه في أي عصرٍ من العصور، و أنّها صارت صناعةً لها قواعد و رسوم تجري عليها، بفضل التداخل و التضارب بين الثقافات (الفارسية و اليونانية و الهندية...)، أفضى هذا التداخل إلى تفاعل أنتج لنّا فنّا بديعًا هو الرسائل الفنّية، و التي إمتازت في هذا العصر بعدة ميزات ظاهرة في الأسلوب و اللفظ و المعنى. و من هذه الميزات:

1. «سعة الخيال و طرافته، و عمق المعاني و دقتها و تنوعها و جدتها و سعتها، و ظهور آثار الثقافات الأصيلة و المترجمة فيها، و استخدام العلم و الفلسفة و المنطق و أدلتها و الإقناع بها.
2. التأنق في الألفاظ و حسْن تخيّرها و البعد عن الحوشية و الغرابة.
3. أما أسلوبها فقد إمتاز بالتجويد و التهذيب، و إستعمال المحسنات البديعية، و

الإكثار من ألوانها، مع وضوح العبارة، و حسن الإشارة، و جودة الرصف، و جمال السبك، و قوة الأداء، و التنوع في تخيّر الأساليب، في جزالة حينًا، و عذوبة حينًا آخر»[3].

4. إمتاز كُتّاب هذا الفنّ بأنهم صفوةٌ من البلغاء و الفصحاء (أرباب البيان)، حازوا

---

[1]: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني، ص: 571.

[2]: ينظر، حنا الفاخوري، في الأدب العربي و تاريخه، دار الجيل، بيروت، ط2، 1991، ص: 43.

[3]: محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي و تاريخه الحياة الأدبية في العصر العباسي الأول(132–334ه)، القسم الثاني، ص: 312–313.

من البلاغة و الفصاحة و البراعة، بحيث إمتازت كتابتهم بجمال الآداء، و براعة الأسلوب، و شرف المعاني، و حسن الابتداع، مع توظيف الإزدواج و السجع في النصوص.

5.إن تمازج الحضارات في العصر العباسي، أنعش الحياة الفكرية و الأدبية بين

أوساط الكُتّاب، و ظهرت حركة الترجمة فأضحى الكُتّاب يقتبسون من الكتابة الفارسية و غيرها و ينهلون منها الدُّرَر و الجواهر.

و لقد لاحظتُ لدى إستقرائي "المتواضع" للبعض من الرسائل الأدبية في العصر العباسيّ لاحظت أنّ كُتَّابها–أغلبهم– كانوا يكثرون من التهذيب و التنقيح أو التجويد، و توخي الصحة و السلامة و البلاغة و البراعة، حذرًا من النّقد الذي قوى عضُده في هذا العصر. حتى جُعل للكُتّاب طبقات(أربعُ طبقات) وزعت على حسب الزمن و الإجادة في الكتابة[1].

و ممَّا لاشك فيه أنّ العصر العباسي هو –بحق– العصر الذهبي للكتابة العربية، «و الكتابة من أشرف الصنائع و أرفعها، و أربحُ البضائع و أنفعها، و أفضلُ المآثر و أعلاها، و آثر الفضائل و أغلاها، لاسيما كتابة الإنشاء التي هي منها بمنزلة سلطانها، و إنسان عينها بل عين إنسانها، لا تلتفت الملوك إلّا لها، و لا تعول في المهمات إلّا عليها، يعظِّمون أصحابها و يقرّبون كُتّابها، فحليفها أبدًا خليق بالتقديم، جدير بالتبجيل و التكريم»[2]، و من ذلك كتابة الرسائل الفَنّية التي بزغ نورها في العصر العباسي، و أصبح للرسائل الأدبية "بخاصة"، القدح المعلى على سائر الأجناس الأدبية «بما هيّأ لها جهابذة الكُتّاب من لمسات فنّية ساحرة، تجلّت في رقة الألفاظ و تواؤمها في الجرس، و إئتلافها

[1]: ينظر: :محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي و تاريخه، ص: 315.

[2]: أبو العباس أحمد القلقشندى، صبح الأعشى في كتابة الإنشاء، دار الكتب المصرية بالقاهرة، د.ط، 1922، ج1، ص: 6.

في تراكيب رصينة، ضمّت أقدارًا موسيقيةً متناغمةً، إلى جانب ما عرفوا به من قدرة عالية في تفتيق أكمام المعاني الجديدة(...)، و تجسيد النوازع الوجدانية بكلّ عمق و وضوح»[1].

و بذا أضحى للرسالة الأدبية في العصر العباسيّ كُتّابها الذين عنُّوا بتزويقها و إخراجها في صورة جماليّة، لاح صداها عبر العصور، حتى وصلت إلينا نفحاتها لتكون بحقٍ فنًّا ذا جمالٍ خالد...

[1]: غانم جواد رضا الحسن، الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع للهجرة، ص: 7.

الفصل الأول:

جماليّة الشكل و المضمون لرسالة "أيُّها الولد"

- أولاً: البناء الشكلي.
- ثانياً: بناء المضمون.

تباينت الرسائل الأدبية إبان العصر العباسيّ في مبناها، و رصف فصولها(أجزائها)، و إتبع الكتّاب البلغاء في ذلك أساليب عديدة و متباينة، تبعًا لموضوع الرسالة الأدبية و فحواها.

و من أشهر الكُتَّاب في ذاك العصر الشَّيخ العلامة أبو حامد الغزالي الذي برع في كتابة الرسائل، و أشهر رسائله (القسطاس المستقيم، منهاج العارفين، الرسالة اللدنية، فيصل التفرقة، مشكاة الأنوار، رسالة الطير، الجام العام عن علم الكلام، المضنون به على غير أهله)[1]، و رسالة "أيها الولد" التي هي محور دراستي و التي جاءت جوابًا لطلب سؤال النصيحة (عبارة عن وصايا موجهة لتلميذه)، صاغها وفق منهجٍ تربوي متكامل أفصل فيها عن آرائه التربوية و حاول بلورة هذه القيّم وفق فكر فلسفي إسلامي، تميّز بالعمق و الثراء الفنّي.

سنحاول كشف مزاياها الجماليّة و أبعادها الفنّية بالتشّخيص و الإستقراء المركز لنص الرسالة، و إستخراج ما إستبطن أسرارها، و التعمق في خصوصياتها البنائية، و أنّ نتحسّس ما إنطوت عليه من جهد جماليّ و إبداع فنّي متميز، و ذلك من خلال بيان جانب من جزيئات هذا النظام البنائي، الذي أضحى أنموذجًا أدبيًا شامخًا لأصالة النثر العربي في عصوره الأدبية.

و إنَّ من أهم أجزاء هذا النظام البنائي لهاته الرسالة عنصرين أساسيين هما: الشكل(الهيكل) و المضمون.

- **أولاً: البناء الشّكلي:**

بادئ البدء و قبل أنّ نخوض في دراسة بِنْية الرسالة شكليًا، أوجب أنّ أعرج لنقطة مهمة ألّا و هي: كتابة الرسالة و على إختلاف أنواعها و مواضيعها يتطلب توفر عناصر ثلاث "أساسية": المُرْسِل و المُرْسَلْ إليه و نص الرسالة، و هي في دراستي جآءت على

[1]: ينظر: أبو حامد الغزالي، كتاب الجواهر الغوالي من رسائل الإمام حجة الإسلام الغزالي، تحقيق:محي الدين صبري الكردي، مطبعة كردستان العلمية، القاهرة، ط1، 1910.

النحو الآتي:[1]المرسِل(أبو حامد الغزالي)، [2] المُرْسَل إليه(تلميذه"الولد")، [3] نص الرسالة، و المخطط الآتي يوضح العناصر الثلاث المكونة لرسالة "أيها الولد".

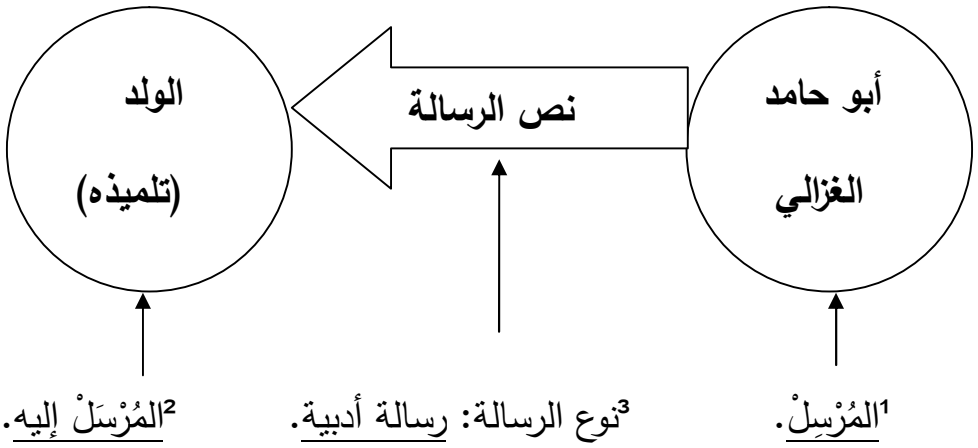

❖ (مخطط يوضح العناصر الثلاث المكونة للرسالة).

كما يجب أنّ تتوفر في كل من العناصر الثلاث ([1]–[2]–[3])السالفة الذكر شروطًا منها:

1: في كاتب الرسالة(المُرْسِلْ) صفات منها: «أنّ يكون الكاتّب صحيح القريحة، حلو الشمائل، عذب الألفاظ(...)، بعيدًا عن الفدامة*، خفيف الروح، حاذق الحسّ، مُحَنّكا بالتجربة(...)، مع براعة الأدب، و تأليف الأوصاف، و مشاكلة الإستعارة، و حَسَن الإشارة، و شرح المعنى بمثله من القول، حتى تنصبَّ صُورًا منطقيةً تعربُ عن أنفسها، و تدل على أعيانها»[1]، هذه بعض من صفات الكُتَّاب.

2: في المُرسَلْ إليه: تختلف المستويات المعرفية و الاجتماعية و القدرة العقلية لكل متلقي، لذا يجب أنّ يحُوز القارئ على معارف تمكنه من إستقبال و فهم معنى الرسالة، و هذه المستويات هي التي تساهم في بيان نوع الرسالة.

3: في نص الرسالة: يقول صاحب الصناعتين عن الرسائل الجيّدة: « فأما مثال الحسن الرّصف من الرسائل فكما كتب بعضهم: و لولا أنّ أَجود الكلام ما يدل قليله

[1]: أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ص: 302.

*: الفدامة: الكلام الثقيل المتكلف.

على كثيره، و تُغنى جملته عن تفصيله(...)، و من تمام حسن الرّصف أنّ يخرج الكلام مخرجًا يكون له فيه طلاوةً و ماءُ»[1].

و ممَّا سبق يتضح لنا أنّ عملية كتابة الرسائل تعتمد على عناصر ثلاث يشترط في كل عنصر مجموعة من المميّزات التي يجب توافرها، و التناسب و المشاكلة و التلاحم بينها، يخرج العمل الفنّي في صورة سليمة و محبّرة (راجع كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري(ت395ه)، و البيان و التبيين للجاحظ(ت255ه)، يحويان شروط و ضوابط كتابة الرسائل).

و على الرغم ممّا ذهبنا إليه آنفًا من تلاحم العناصر المكونة للعمل الأدبي"الرسالة" بوصفها ضربًا من الفنّ غايته التأثير و الإمتاع إلّا أننا سنحاول الوقوف عند عنصر منها و هو نص الرسالة، محاولين دراسة هذا البناء و الوقوف على جزيئاته(عناصره) الفنّية و دراستها دراسة مستقلة.

لقد عنى كُتّاب الرسائل الأدبية في هذا العصر بالمبنى العام لرسائلهم، و «البنية كل مكون من ظواهر متماسكة يتوقف كل منها على ما عدّاه، و لا يمكن أن يكون ما هو إلّا بفضل علاقته بما عدّاه»[2]، و بِنْية الكلام صياغته و وضع ألفاظه و رصف عباراته وفق معانيها، و لقد أشار أرسطو Aristote«384-222ق.م»[3] في كتابه الخطابة إلى عناصر الخطبة، و الخطبة و الرسائل تتباينان من حيث البناء الفنّي فكلاهما نص فنّي، فكثير منّا يخلط بين الخطبة و الرسالة، إلّا أنه تجدر الإشارة إلى مقولة صاحب الصناعتين:«و اعلم أن الرسائل و الخطب متشاكِلَتَانِ في أنهما كلام لا يلحقه وزن و لا تقفية، و قد يتشاكلان أيضًا من جهة الألفاظ و الفواصل، فألفاظ الخطباءِ تشبه ألفاظ الكُتّاب في السهولة و العذوبة، و كذلك فواصل الخطب، مثل فواصل الرسائل، و لا فرق بينهما إلّا

[1]: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، الصناعتين الكتابة و الشعر، تحقيق: محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي و شركاه، القاهرة، ط1، 1952، ص: 170.

[2]: صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط3، 1987، ص: 186.

[3]: منصور عبد الرحمان، معايير الحُكم الجمالي في النقد الأدبي، الناشر المعارف، القاهرة، ط1، 1401ه-1981م، ص: 16.

أنّ الخطبة يشافه بها، و الرسالة يُكْتَبُ بها»[1]، و الخطبة هنّا يقصد بها أرسطو الكلام. و هو يتضمن جزئين أساسيين هما: 1. العرض (أي الموضوع الذي يبحث فيه)،

2. الدليل (و هو البرهنة التي تسبق الموضوع و تواكبه، إذ لا يذكر الشيء إلّا من أجل البرهنة عليه)، ثمَّ ألحق بهذين الجزئين الأساسيين في النص: الإستهلال و الخاتمة و لم يعدَّهما من أجزاء النص إلّا عند الضرورة يقول: و هكذا ليس ثمَّ من ضرورة إلّا للقضية و الدليل، فهذا هو الملائم حقًا للكلام[2].

و معنى هذا أنَّ الرسالة الفنّية أصبح لها شكل فنّي تواضع الكُتّابُ عليه، و يتمثل في: المقدمة، الغرض و الخاتمة، و كلها مكونات شكلية ثابتة تتبني عليها كل رسالة فنّية.

و الآن يمكن تحديد أجزاء البناء الفنّي لرسالة "أيها الولد" بثلاث عناصر هي:

1) الإستهلال أو الإبتداء (المقدمة).
2) عرض الرسالة.
3) الخاتمة أو الانتهاء.

و سيتمُ في الآتي دراسة كل جزء منها على حدا.

1. الإستهلال أو الإبتداء (المقدمة):

أختُلفت مُسمَيات مطالع الرسائل في العصور القديمة ففيهم من أسماها ب: مطلع أو إستهلال أو إبتداء أو صدر أو الإفتتاح و ما إلى ذلك من أسماء تنصب جلُّها في معنًا واحد هو ما إفتتح به الكلام، و لقد إهتم كُتّاب العصر العباسي –على اختلاف مراحله– بصدور رسائلهم و ابتداءاتها، لأنها أول جزء من الرسالة يصل إلى المتلقي و يحمله على الإستماع و الإنتباه، لذا أوجب أن يكون الاستهلال جميلًا، و مؤثرًا، و

[1]: أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص: 136.

[2]: ينظر: أرسطاطاليس، الخطابة، ترجمة: عبد الرحمان بدوي، دار الرشيد للنشر، العراق(بغداد)، د.ط، 1980، ص: 234.

مُستساغًا، و قد أشار الجاحظ في كتابه البيان و التبيين لذلك يقول: «و ليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك»[1] أي ما يدل على ما بعده من فحوى الرسالة أو موضوعها، لأنّها إستدراجٌ لما بعدها، و جاء على لسان ابن رشيق القيرواني(ت456ه): «حُسنُ الإفتتاح داعية الإنشراح، و مطيّةُ النجاح»[2]، فهو يُمهد الطريق للآتي من الكلام و يهيئ المتلقي لمواصلة القراءة، و يستثير إنتباهه لمتابعة الباقي من فحواها.

و لقد عرف أرسطو "الإستهلال" بأنّه بدء الكلام(...)، و رأى أن هذه الإبتداءات كأنها تَفْتَحُ السبيل الى ما يتلو[3]، و أظهر الجانب الجماليّ لهذا الجزء من البنّاء و شبهه بالمقطوعة الموسيقية في قوله: «الإفتتاحية شبيهة بالإستهلال(...)، ذلك أنّ عازفي الناي إذا عرفوا لحنًا جميلًا، وضعوه في افتتاح المعزوفة كأنه لحنهُ»[4].

إن جُلَّ ما ذكرناه آنفًا يؤكد لنّا أنّ كُتّاَب الرسائل أَوْلَو أهمية للإبتداءات في رسائلهم و أحسنوا فيها الكتابة «أحسنوا معاشر الكتّاب الابتداءات فإنّهن دلائل البيان»[5]، و أضحت دعامةً متينةً بنو عليها مكاتباتهم، و لم يكن لهم طريقة محددة في الإستهلال، فغالبًا ما كانت ترتبط بموضوع الرسالة و فحواها، أو بمقام المتلقي حيث روعي فيها مستوياته المعرفية و الإجتماعية و القدرة العقلية له.

و الآن سنرصُد أهم الصيغ التي إستهل بها كُتّاب الرسائل "الأدبية" مكاتباتهم في ذاك العصر:

---

[1]: أبو عثمان الجاحظ، البيان و التبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطبعة المدني، القاهرة، ط1، 1985، ص: 116.

[2]: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر و آدابه، تقديم و شرح: صلاح الدين الهواري و هدى عودة، مكتبة الهلال للطباعة و النشر، بيروت، ط1، 1996، ج1، ص: 355.

[3]: ينظر: أرسطاطاليس، الخطابة، ص: 235.

[4]: المصدر نفسه، ص: 235.

[5]: أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص: 431.

أ. **الإستهلال بالدعاء أو التحميد:** و هو من الإبتداءات التي شاعت في صدور الرسائل الأدبية في هذا العصر(...)، و قد تطورت صور الأدعية إذ جنحت إلى الإجلال و الإعظام(...)، ثم رتبوا الأدعية على مراتب متفاوتة بحسب مقام المكتوب إليه[1]، و تأتي على صيغ مثل: أكرمك الله، حفظك الله، أطال الله بقاك، أعزك الله و نحو ذلك.

ب. **الإستهلال بالشّعر:** شاع بين الأدباء الكُتّاب افتتاح رسائلهم بالشّعر، و غالبًا ما كانت هذه الأشعار توحي ما في الرسالة من مضمون و تهيئ المتلقي للإصغاء و المتابعة.

ج. **بالبسملة:** ذكر القلقشندى في كتابه صبح الأعشى البسملة فقال: « يجب تقديمها في أول الكلام المقصود(...)، تبركًا بالإبتداء بها و تيمنًا بذكرها»[2].

د. **صيغ شائعة:** هناك صيغ شاعت في ذلك العصر، استهل الكُتّاب رسائلهم بها و كانت مناسبة لمقتضى الحال و دالة على مضمون الرسالة و فحواها ك: كتابي، وصل كتابك، أما بعد...، و كان بلغاء الكُتّاب –غالبًا– ما يردفون هذه الصيغ بجملة إعتراضية دعائية.

و بعد الإستقراء لمجموع من الصيغ المتعارف عليها في صدر رسائل كُتّاب ذلك العصر، إتضح لنا أنّ رسالة الولد لم تَحِدْ عن تلك الأصول، و لكن مع ذلك اتخذت منعرجا بنائيًا متميّزًا.

تفنّن الشيخ الغزالي–رحمه الله– في كتابة رسالته "أيُّها الولد"، و هي رسالة أدبية جوابية (عبارة عن وصايا)، كتبها ردّا على تلميذه الذي التمس منه النصيحة و الدعاء، يقول التلميذ: «... لكن مقصودي أنّ يكتب لي الشيخ حاجتي في ورقات تكون معي مدة

[1]: ينظر: غانم جواد رضا الحسن، الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع للهجرة، ص: 363.

[2]: أبو العباس أحمد القلقشندى، صبح الأعشى في كتابة الإنشاء، دار الكتب المصرية بالقاهرة، د.ط، 1922، ج6، ص: 213.

حياتي، و أعمل بما فيها مدة عمري، إن شاء الله تعالى»[1]، فكتب الشيخ الغزالي في جوابه الذي جاء على وفق سؤال التلميذ يقول في مطلعها: «إعْلَمْ: أيُهَا الوَلَدُ و المُحِبُّ العَزِيزُ– أطَالَ اللهُ بَقَاكَ بِطَاعَتِه، و سَلَكَ بِكَ أَحِبَّاءَه أنَ مَنْشُوَر النَصِيحَة يُكتَبُ من معْدَنِ الرِّسَالةِ، إنْ كَانَ قَدْ بَلَغَكَ منه نَصِيحَةٌ، فَأيّ حَاجَةٍ لكَ في نَصِيحَتِي؟ و إنّ لمْ يبْلغكَ فَقُلْ لِي: مَاذَا حَصَّلْتَ في هَذِه السِنينِ المَاضِية؟»[2].

جاء في مستهل المقدمة لفظة (إعْلَمْ): من هذه اللفظة يتضح لنا أن الشيخ الغزالي إبتدأ بكلام مناسب للحال (الجواب على السؤال)، فهو بقوله "إعْلَمْ "يُهيأ تلميذه للإصغاء و المتابعة، و يحمّلَه على الإلتفات و يُنبهُ على قدر هذه الرسالة و شرفها و أن الآتي منها جواب لمسائله، أما قوله (أيُهَا الوَلَدُ): فهو يبين لنا مقام المُرْسَل إليه، و التعبير بالولد تفخيمٌ لأمره و تعظيمًا لشأنه و لكمال الشفقة عليه (الولد)، و فيه إشارة إلى أن هذه النصائح كأنها صادرة من الوالد إلى المولود، فَحَريٌّ قبولها و لازمٌ إستدامتها، و(المُحِبُّ العَزِيزُ) عطف على الولد و عزة المحبّة ما يكون حبًا لله، و فيه إشارة إلى أن قبول هذه النصائح ما يزيد الأُلفة و يقوي أواصر المحبة بين العالم و المُتعلم، (أطَالَ اللهُ بَقَاكَ بِطَاعَتِه) جملة إعتراضية دعائية توسطت صدر الرسالة، و هي دعاء بطول العمر و هو أعز شيء لدى العبد مقترنا هذه الزيادة بطاعة الله، (و سَلَكَ بِكَ أَحِبَّاءَه) فيه إشارة إلى أن السبيل المستقيم يحصل بمجموع النصائح الآتية في هذه الرسالة، (أنَ مَنْشُوَر النَصِيحَة يُكتَبُ من معْدَنِ الرِّسَالةِ، فيه إشارة إلى أن النصيحة التي يلتمسها الولد لا تؤخذ إلّا من المعدن الأصلي و هي رسالة النبي صلّ الله عليه و سلّم، (إنْ كَانَ قَدْ بَلَغَكَ منه نَصِيحَةٌ، فَأيّ حَاجَةٍ لكَ في نَصِيحَتِي؟)، الشّيخ هنا يحمّلُ الولد للإلتفات و الرجوع إلى المنبع الأصلي و هو رسالة المصطفى صلّ الله عليه و سلّم و أن نصيحته لا تكون كنصيحة النّبي عليه السلام، فما هذه إلّا فرع من تلك، (و إنْ لمْ يبْلغكَ، فَقُلْ لِي: مَاذَا حَصَّلْتَ في هَذِه السِنينِ المَاضِية؟) أي إنّ لم تتحرى النصائح النبوية و تتحصل العلم من الرسالة المُحَمديّة قل لي ما الذي حصلته في عمرك الذي مضى؟ هذا السؤال الفلسفي يوحي

[1]: عَبد المَالك السّليماني، عُمَر الدّسوقي، محمد الصادق عفيفي، الدراساتُ الأدبية(حي بن يقظان–أيها الولد–رسائل إخوان الصفاء)، دار الفكر، ط1، 1962، بيروت، ج3، ص: 136.

[2]: المصدر نفسه، ص: 136.

للمتلقي بأنّ العلوم الأخرى و إن أجَدْتها لا فائدة منها من غير التحصيل الذي يلقاه المَرْءُ من رسالة خير الورى المصطفى صلّ الله عليه و سلّم، فالعلم يؤخذ من رحم الرسالة النبوية فهي أصل العلوم و ما الباقي إلّا فروعٌ لها.

هذا ما إستهل به المُرْسِل (أبو حامد الغزالي) مطلع رسالته، حيث رأينا أنّه جاء على وفق السؤال الذي إلتمس فيه التلميذ النصح و الدعاء من معلمه، و فيها (المقدمة) إشارة إلى فحوى الرسالة (مضمونها)، و الواضح من ذلك أنّها عبارة عن نصائح و وصايا موجهة سلك فيها المُعلم منهاج المصطفى صلّ الله عليه و سلّم في تقويم سلوك الولد.

2. عرض الرسالة:

موقعه من المبنى الشَّكلي للرسالة يتوسط المقدمة و الخاتمة فهو واقع بينهما، و يُشكل عرض الرسالة أو فحواها أو مضمونها –مع إختلاف مسمياته– الجزء الأساس في بنائها فهو جوهرها، و فيه يبدأ الكاتّبُ ببسط آرائه و أفكاره مدعمًا إياها بالأدلة التي تؤيد وجهة نظره، و تدعمُ آرائه، مستخدمًا في ذلك أساليب فنّية متنوعة.

و لأهمية هذا الجزء من الرسالة، عُني الكُتّاب البلغاء في هذا العصر بحسن الإنتقال من الجزء الأول (المقدمة) إلى الجزء الثاني(عرض الرسالة)، إذ أن الكاَتّب لا ينتقل مباشرةً إلى غرضه بل يُنَبِه المُتَلقي (المُرْسَل إليه) إلى ما سيأتي، و سمي ب: **التَخَلُصْ**، و « التَخَلُصُ هو الإنتقال ممّا إفتتح به الكلام إلى المقصود مع رعاية المناسبة و أحسنه أن يكون الإنتقال على وجهٍ سهل يختلسه اختلاسًا دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى إلّا و قد وقع الثاني لشدة الإلتيام بينهما»[1]، إنّ التخلص تبعًا لمّا قيل: تلك النقلة الحسنة للكاتّب من مقدمة الرسالة إلى غرضها بواسطة أدوات لغوية تساعده على ذلك، بحيث يكون نبيهًا و عارفًا بهذه النقلة، و لقد صاغ الإمام حجة

[1]: محمد أعلى بن علي التهانوي، كشاف إصطلاحات الفنون، طبعه: شيائك سوسيتي آف بنكال، تصحيح: محمد وحيه– عبد الحق– و غلام قادر و بإهتمام: الويس أسيرنكر التيرولي و وليم ناسوليس الإيرلندي، كلكته، الهند، المجلد الأول، ص: 388.

الإسلام هذه النقلة بطريقة رائعة أظهرت براعته في هذا الفنّ و حسن بيانه فيه يقول: أَيُهَا الوَلَدُ... ، هذه الصيغة التعبيرية التي ربطت بين الجزء الأول و الثاني تحملُ التلميذ على الإنتباه مرة أخرى، و تحققُ بين الجزأين الفنّيين(المقدمة) و (عرض الرسالة) الوحدة و الإنسجام.

و الآن ينتقل الكاتّب إلى موضوع الرسالة (الغرض) بقوله: «من جُمْلَة مَا نَصَحَ بِه رَسُولُ الله صلّ الله عليه و سلّم أُمَّتَهُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ: علاَمَةُ إِعْرَاضِ الله تَعَالَى عَنْ العَبْدِ اشْتِغَالُهُ بِمَا لَا يَعْنِيهِ، وَ إِنْ امْرِأً ذَهَبَتْ سَاعَةٌ مِنْ عُمْرِهِ في غَيْرِ مَا خُلِقَ لَهُ لَجَدِيرٌ أَنْ تَطُولَ عَلَيْهِ حَسْرَتُهُ، وَ مَنْ جَاوَزَ الْأَرْبَعِيْنَ وَ لَمْ يَغْلِبْ خَيْرُهُ شَرَّهُ فَلْيَتَجَهَّزْ إلى النَّار»[1]، يدخلُ الشيخ الإمام الغزالي –رحمه الله– في بيان و تعدادٍ للنصائح النبوية التي حصلها من الرسالة المحمديَّة، فكأنّما مضمون الرسالة ما هو إلّا جواب عن تحصيلٍ سابق صيّغَ برؤية فلسفية بيّن من خلالها فلسفة الأثر، مستطردا في الحديث عن الخصال و الأخلاق و السلوك التي وَجَبَ للولد الإتيان بها، –سنقوم بدراسة المضمون في الشق الثاني من هذا الفصل(بناء المضمون)– مستخدمًا تلاوين بلاغية و إيقاعية جميلة متناسبة، و أساليب تعبيرية متناغمة، و لعلّ أهم تلك التلاوين الألوان البديعية و الترادف و الإزدواج فضلًا عن التكرار و الموازنة و غيرها التي سنلمُّ بدراستها و تحليل نماذجها في القسم الثاني من هذا البحث، و نبرز كيف جسّد رؤيته الفلسفية بصورة جماليّة عكست ما بلغته رسالة "أيها الولد" من نضجٍ و تطورٍ في مبْنى و معْنى.

3. الخاتمة أو الإنتهاء:

و مما جاء في تعريفها «الخاتمة هي القاعدة التي يرسى عليها العمل الأدبي، و هو آخر ما يبقى من النّص في ذهن المتلقي، أو ما يطلع عليه قارئ الرسالة»[2]، هو المكون الأخير في الرسالة أطلق عليه النقاد القدامى عدة مسميات نذكر منها الإنتهاء و المقطع يقول صاحب الصناعتين:«و الإبتداء أول ما يقع في السمع من كلامك، و المقطع ما

[1]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية–أيها الولد–، ص : 93.

[2]: غانم جواد رضا الحسن، الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع للهجرة، ص: 372.

يبقى في النفس من قولك، فينبغي أن يكونا جميعا مونقين»[1]، فكما تم الحديث فيما تقدم عن الإبتداءات و مراعاة الكُتّاب لمطالع رسائلهم، عنَّو أيضًا بخواتيمها فأحسنوا الإنتهاء «أن يكون محكمًا، لا تمكن الزيادة عليه، و لا يأتي بعدهُ أحسن منه»[2].

و قد تنوعت أساليب الكُتّاب في إختتام رسائلهم تبعًا لتنوع موضوع الرسالة و فحواها أو اختلاف شخصية المُرْسَل إليه و تفاوت رتبته و مكانته لدى الكاتّب، و قد أشار القلقشندي(ت821ه) إلى تنوع الإختتامات عند الكُتّاب يقول: «و إعلم أنه لم يكن لهم ضابط للإختتامات و لا ما يقتضي ملازمة إختتام معين لصدر معين بل ذلك موكول إلى رأي الكاتب لا يراعي فيه غير علوّ الرتبة و هبوطها حيث تتفاوت رتب الاختتامات»[3]، نرى أن القلقشندي قد ربط تنوع الخواتيم بشخص المرسل إليه فقط، فعلو مكانته أو هبوطها هو الذي يحدد نوع الخاتمة، و نحن نرى –برؤيتنا المتواضعة– فإنه زيادة على ذلك، تنوع الإختتامات يرتبط ارتباطًا وثيقًا بغرض الرسالة و فحواها.

و الآن سنقف عند أهم أنواع الأساليب التي اتبعها الكُتّاب في كتابة خواتيم رسائلهم:

أ. **الإختتام بالشِّعر:** من الأساليب التي شاعت في خواتيم الرسائل في العصر العباسي: ختام الرسائل بالشعر«لعل ما رسّخَ هذه الظاهرة الأسلوبية في ثنايا الرسائل الأدبية و خواتمها سعة ثقافة الكُتّاب، و ثراء حافظتهم من الشعر القديم و المحدث، فضلًا عن أن أكثر الكتاب كان يجمع بين ملكتي النظم و النثر»[4]، و أغلب الظن أن إستعمال الشعر من طرف كتّاب الرسائل في ذاك العصر يعود إلى عمق دلالاته و شدة مناسبته لفحوى الرسالة بحيث يتلاءم مع جوها، فضلًا عمّا يحملهُ من جرس موسيقي، و طلاوة نغمٍ تزيد من قوة التأثير و تحكم المعاني المراد إيصالها للمتلقي بصورة جماليّة و ثوب عذب رصين. و مثال ذلك كتاب

[1]: أبو هلال العسكري، الصناعتين ، ص: 435.

[2]: ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر و آدابه، ج1، ص: 381.

[3]: أبو العباس أحمد القلقشندى، صبح الأعشى في كتابة الإنشاء، ج1، ص: 141.

[4]: غانم جواد رضا الحسن، الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع للهجرة، ص: 375.

الحسن بن وهب إلى الزيات يقول في آخر بيت: «فَسَلَامُ الإِلَهِ أُهْدِيهِ غَضًا لَكَ مِنِي يَا سَيّدَ الوزَرَاءِ»[1].

ب. **الإختتام بالسَّلام:** شاع هذا اللون من الاختتامات بين أوساط الكُتَّاب آنذاك، إذ درج الكُتَّاب أن يأتوا بالسلام في آخر رسائلهم. أنظر رسالة إبراهيم بن العباس إلى عمر بن فرج يقول فيها: «(...)، الأرجح عليك أكنز منه في نعمتك و قدرك، و السلام»[2].

ج. **الإختتام بالحكم و الأقوال المأثورة و الأمثال السائرة:** لجأ كُتَّاب الرسائل في ذاك العصر إلى هذا النوع من الأساليب التي اختتموا بها رسائلهم، بما يتناسب مع مضمون الرسالة، و لقوة تأثيرها في المتلقي، و وقعها في النفوس. و ممّن اشتهر في هذا العصر بهذا اللون من الاختتامات أبو بكر الخوارزمي و بديع الزمان الهمذاني[3].

د. **الإختتام بالدعاء أو التضرّع و الصلاة على النّبي المقترنة بالحمد:** لعلّ هذا الأسلوب هو الأكثر رواجًا بين أساليب الإختتامات في ذلك العصر، و خصوصًا في الرسائل الأدبية، بحيث يتلاءم مع موضوعها و فحواها.

و من ذلك ختام رسالة أيها الولد لحجة الإسلام الغزالي، يقول فيها: «أَيُهَا الوَلَدُ...، إِنِّيَ كَتَبْتُ في هَذَا الفَصْلِ مُلْتَمَسَاتِكَ، فَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْمَلَ بِهَا وَ لَا تَنْسَانِي فِيه مِنْ أَنْ تَذْكُرَنِي فِي صَالِح دُعَائِكَ. وَ أَمَّا الدُّعَاءُ الَّذِي سَأَلْتَ مِنِّي فَاطْلُبْهُ مِنْ دَعَواتِ الصِّحَاح، وَ اقْرَأْ هَذَا الدُّعَاءَ فِي جَمِيعِ أَوقَاتِكَ خُصُوصًا أَعْقَابَ صَلَواتِكَ:

اللَّهُمَ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ النِّعْمَةِ تَمَامَهَا، وَ مِنَ العِصْمَةِ دَوَامَهَا، وَ مِنَ الرَّحْمَةِ شُمُولَهَا، وَ مِنَ العَافِيَةِ حُصُولَهَا، وَ مِنَ العَيْشِ أَرْغَدَهُ، وَ مِنَ العُمْرِ أَسْعَدَهُ، وَ مِنَ الإِحْسَانِ أَتَمَّهُ، وَ مِنَ الإِنْعَامِ أَعَمَّهُ، وَ مِنَ الفَضْلِ أَعْذَبَهُ، وَ مِنَ اللُطْفِ أَقْرَبَهُ.

---

[1]: أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ص: 19

[2]: المصدر نفسه، ص: 40.

[3]: ينظر: غانم جواد رضا الحسن، الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع للهجرة، ص: 380.

اللَّهُمَ كُنْ لَنَا وَ لَا تَكُنْ عَلَيْنَا، اللَّهُمَ اخْتِمْ بالسَعَادَةِ آجَالَنَا، وَ حَقِقْ بالْزِّيَادَةِ آمَالَنَا، وَ اقْرِنْ بالْعَافِيَةِ غُدُوَّنَا وَ آصَالَنَا، وَ اجْعَلْ إِلَىَ رَحْمَتِكَ مَصِيرَنَا وَ مَآلَنَا، وَ أُصْبُبْ سِجَالَ عَفْوِكَ عَلى ذُنُوبِنَا، وَ مُنَّ عَلَيْنَا بإِصْلَاحِ عُيُوبِنَا، وَ اجْعَلْ الْتَّقْوىَ زَادَنَا، وَ فِي دِينِكَ اجْتِهَادَنَا، وَ عَلَيْكَ تَوَكُّلُنَا وَ اعْتِمَادُنَا.

اللَّهُمَ ثَبِّتْنَا عَلَى نَهْجِ الإِسْتِقَامَةِ، وَ أَعِذْنَا فِي الْدُّنْيَا مِنْ مُوجِبَاتِ النَّدَامةِ يَوْمَ القِيَامةِ، وَ خَفِّفْ عَنَا ثِقَلَ الأَوْزَارِ، وَ ارْزُقْنَا عِيْشَةَ الأَبْرَارِ، وَ اكْفِنَا وَ اصْرِفْ عَنَّا شَرَّ الأَشْرَارِ، وَ اعْتِقْ رِقَابَنَا وَ رِقَابَ آبَائِنَا وَ أُمَّهَاتِنَا وَ مَشَايِخَنَا مِنَ النَّارِ، بِرَحْمَتِكَ يَا عَزِيزُ يَا غَفَارُ، يَا كَرِيمُ يَا سَتَّارُ، يَا عَلِيمُ يَا جَبَّارُ، يَا الْلَّهُ... يَا الْلَّهُ... يَا الْلَّهُ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَ يَا أَوَلَ الأَوَّلِينَ، وَ يَا آخِرَ الآخِرِينَ، وَ يَا ذَا القُوَّةِ المَتِينُ، وَ يَا رَاحِمَ المَسَاكِين، وَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، لاَ إِلَهَ إِلَّاَ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَالِمِيْنَ.

وَ صَلَّى الْلَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّد وَ آلِهِ وَ صَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ، وَ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ»[1].

لمّا فرغ الشَّيخ الغزالي من وصاياه التي ذُكرت في عرض الرسالة، أراد أن يختم رسالته أيها الولد و التي كانت ردًا لالتماس تلميذه النصح و الإرشاد منه، فحَمَلهُ على العمل بها و أن لا ينساه من صالح الدعاء، و سرد له دُعاءً يقرئه في صلواته، و كان رسول الله صلّ عليه و سلّم يقرأُ هذا الدعاء. بحيث لم يترك خصالًا حميدة و لا خلة سعيدة إلاّ طلبها من مولاه بداية و نهاية إجمالاً و تفصيلًا، ثم ختم دعائه بالصلاة و التسليم على النبي الكريم، و على آله الأطهار(عليهم السلام)، و الحمد لله ربّ العالمين.

و الآتي: مخطط توضيحي للبناء الشّكلي لرسالة أيها الولد:

[1]: أبو حامد الغزالي، أيها الولد، تحقيق: علي محي الدين علي القره داغي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط4، 1431هـ-2010م، ص : 149، 150، 151.

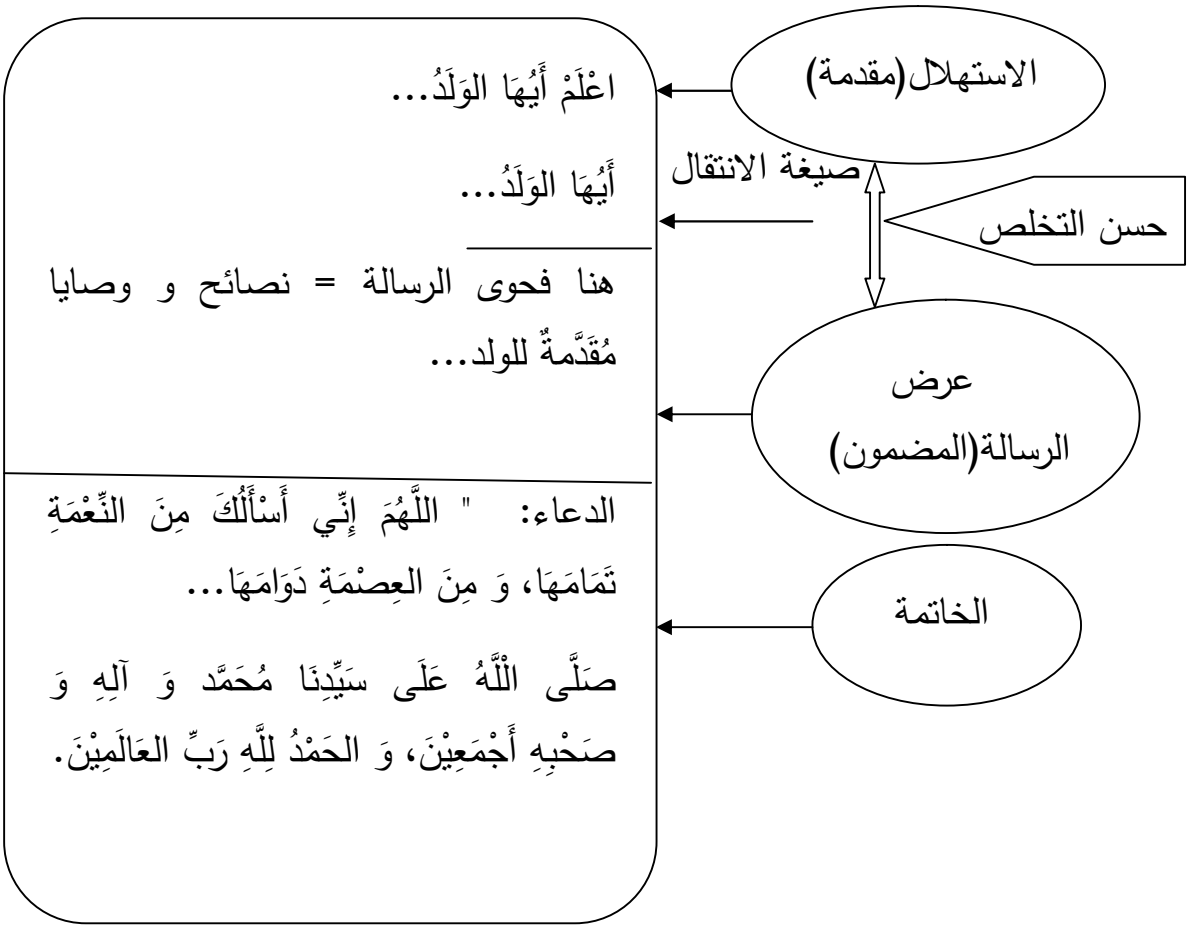

❖ (مخطط يوضح البناء الشكلي لرسالة "أيها الولد").

- **ثانياً: بناء المضمون:**

يقول الناقد دونالد استوفر Donald Stover «إن القصيدة يتداخل فيها الشكل و المحتوى على نحو لا يمكن معه تطور كلّ منهما على حدة»[1]، من هذا المنطلق تتكون لدينا فكرة أن الشكل و المضمون شيء واحد، و من الخطأ محاولة الفصل بينهما (فصل الشكل عن المادة أو المضمون)، «فالشكل و المضمون هما مظهران إصطلاحيان لجوهر التجربة الأدبية و لا يمكن الفصل أو المفاضلة بينهما وفق مقياس حسابي تجريدّي، كما

[1]: حياة جاسم، وحدة القصيدة في الشّعر العربي حتى نهاية العصر العباسي، مطبعة الجمهورية، بغداد، د.ط، 1972، ص: 151.

يبدو ذلك للوهلة الأولى»[1]، فالشكل يتولد من خضم المضمون و العكس صحيحٌ أيضًا، هما بنائين أساسين يتأسّس عليهما البناء العام للرسالة الفنّية.

أما عن البناء الشَّكلي فقد تم توضيحه في ما مضى من صفحات هذا الفصل، فما هو بناء المضامين؟

المضمون: هو جوهر العمل الأدبي أو الأساس فيه، هذا الجزء "الحيوي" هو الذي يحفز الكاتّب الفنان لخلق عمله الإبداعي، ببسط آرائه و أفكاره في هذا المبنى مستخدمًا لغةً أدبية «موحية رائعةً و تنطوي على قدر كبير من الطرافة و الجمال»[2]، تعبيرًا عن المعاني و الأفكار في صورة مناسبة، و ألفاظ مأنوسة، و أسلوب أدبي بليغ، و العمل على إظهاره بصورة فنّية جماليّة تحقق المبتغى من وراء كتابة النّص و هو التأثير المقترن بالإمتاع.

رسالة "أيها الولد"، رسالة أدبية جوابية أرسلها أبي حامد محمد بن محمد الغزالي إلى أحد طلبته الذي لازم خدمة شيخه و كان من المتقدمين في العلم و المشتغلين بالتحصيل.

تحقق في نفس الطالب المُريد أنه لم يعرف بعد ما ينبغي عمله في هذه الحياة، و ماذا ينفع الإنسان في حياته الأخروية و يؤنسه في قبره؟، و ما هي الثمرة التي جناها من وراء هذا العلم؟ اختمرت الفكرة في نفسه، و خرجت إلى حيز الوجود في رسالة بعث بها إلى أستاذه "شيخه"، يستفتيه و يلتمس منه النصح، و يبغي منه أن يكتب له وثيقة مختصرة و كتابًا وجيزًا يكون معه بقية عمره ينهلُ منه.

[1]: عناد غزوان، الشكل و المضمون في الشعر العربي المعاصر، منشورات وزارة الإعلام، بغداد، 1974، ص: 22.

[2]: عمر الدقاق، ملامح النثر العباسي، دار الشرق العربي، بيروت، د.ط، د.ت، ص: 280.

فجاءت هذه الرسالة التي كتبها الإمام الغزالي إلى ولده*، سار فيها على نهج الفلاسفة، فهو يطرح السؤال ثم يجيب عنه بالفكرة المركزة المؤيدة بالدليلين العقلي و النقلي، وفق منهاج جدلّي صوفي عُرف به.

❋ **النصائح الواردة في الرسالة:** نوردها في الآتي مرتبة حسب ما جاءت في نص الرسالة:

1. النصيحة الأولى(إبتعاد العبد عن مالا يعنيه) : «أَيُها الوَلدُ: من جُمْلَةِ مَا نَصَحَ بِه رَسُول اللَه صَلّ اللَهُ عَلَيْه وَ سَلَّمْ أُمَتَه قَوْلَهُ عَلَيْهِ السَّلَام: عَلَامَةُ إِعْرَاضِ اللَهِ تَعَالَى عَنْ العَبْدِ اشْتِغَالُه بِمَا لَا يَعْنِيه، وَ أَنَّ امّرأ ذَهَبَتْ سَاعَةٌ مِنْ عُمْرِهِ فِي غَيْرِ مَا خُلِقَ لَه مِنَ العِبَادَة، لَجَدِيرٌ أَنْ تَطُولَ عَلَيْه حَسْرَتُه، وَ مَنْ جَاوَزَ الأَرْبَعِينَ وَ لَمْ يَغْلِبْ خَيْرُهُ شَرِّه فَلْيَتَجَهَزْ إِلَى النَّار، و فِي هَذِهِ النَصِيحَة كِفَايَةٌ لِأَهْلِ العِلْمِ»[1].

يشير الغزالي إلى جملة من الوصايا التي جاءت على لسانه صلّ اللهُ عليه و سلم و خلاصتها:

- ✓ أن إعلم أيها الولد أن الله يُعرضُ عنك إن إشتغلت بما يعنيك، فدع عنكَ ذلك و أشغل نفسك بالعبادة و كفى.
- ✓ إن تجاوزت الأربعين و لم يغلب خيرك شرك...فلتتجهز إلى النّار.

2. النصيحة الثانية (العلم المجرد): «أَيُها الوَلدُ: النَصيحَة سَهْلَةٌ، وَ المُشْكِلُ قُبُولُهَا، لأَنَّهَا فِي مَذَاقِ مُتَّبِعِي الهَوَى مُرَّةٌ، إِذْ المَنَاهِي* مَحْبُوبَةٌ فِي قُلُوبِهِمِ، وَ عَلَى الخُصُوصِ لِمَنْ كَانَ طَالِبَ العِلْمِ الرَسْمِي، وَ مُشْتَغِلاً فِي فَضْلِ النَّفْسِ، وَ مَنَاقِبِ الدُنْيَا، فَإِنَّهُ يَحْسَبُ

*: و تسمية الغزالي التلميذ بالولد تدل على أن الأستاذ في مقام الوالد، و التلميذ في مقام الولد، و هذا ما نبه عليه في "إحياء علوم الدين"، أن الوظيفة الأولى للمعلم: الشفقة على المُتَعَلمينَ و أن يجريهم مجرى بنيه قال رسول الله صلّ الله عليه و سلم: {إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلَ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ}، أُنظر كتاب أيها الولد، تحقيق: علي محي الدين القره داغي، ص: 27.

[1]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية-أيها الولد-، ج3، ص: 136-137.

*: المنَاهي: الأعمال المنهية عنها.

أَنَّ العِلْمَ المُجَرَدَ لَهُ سَيَكُونُ نَجَاتَه وَ خُلاَصَهُ فِيهِ وَ إِنَّهُ مُسْتَغْنٍ عَنِ العَمَلْ(...)، سُبْحَانَ اللَهِ العَظِيمِ!؟ لَا يَعْلَمُ هَذَا المَغْرُورُ أَنَّهُ حِينَ حَصَّلَ العِلْمَ، إِذْ لَمْ يَعْمَلْ بِه، تَكُونُ الحُجَّةُ عَلَيْهِ آكِدَ* كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَه صَلَّ اللَهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ:

أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَومَ القِيَامَةِ عَالِمٌ لَا يَنْفَعُهُ اللَّه بِعِلْمِهِ»[1]، و تشمل هذه النصيحة ما يلي:

- ✓ يوصيه بتقبل النصيحة و خصوصاً لطالب العلم.
- ✓ عليك أن تعمل بالعلم الذي تُحصلُه.
- ✓ إن لم تَعْمَل بالعلم الذي تعلمته فعْلَ أنه سيكون حُجةً لك يوم القيامة.

3. النصيحة الثالثة (العلم النافع): «أَيُّها الوَلَدُ: لاَ تَكُنْ مِنَ الأَعْمَالِ مُفْلِساً، وَ لَا مِنَ الأَحْوَالِ خَالِياً، وَ تَيَقَنْ أَنَّ العِلْمَ المُجَرَّدْ لاَ يُأْخَذُ بِالْيَدِ، مِثَالُهُ لَوْ كَانَ عَلَى الرَّجُلِ في بَرِيَّةِ عَشْرَةُ أَسْيَافٍ هِنْدِيَةٍ مَعَ أَسْلِحَةٍ أُخْرَى، وَكَانَ الرَّجُلُ شُجَاعًا وَأَهْلُ حَرْبٍ فَحَمَلَ عَلَيْهِ أَسَدٌ عَظِيمٌ مَهِيبٌ، فَمَا ظَنُّك؟ هَلْ تَدْفَعُ الأَسْلِحَةُ شَرَّهُ عَنْه بِلاَ اسْتِعْمَالِهَا وَضَرْبِهَا؟ وَمِنَ المَعْلُوم أَنَّهَا لاَ تَدْفَعُ إِلاَّ بِالتَحْرِيكِ وَالضَرْبِ. فَكَذَا لَوْ قَرَأَ رَجُلٌ مَائَةَ أَلْفِ مَسْأَلَةٍ عِلْمِيَة وَتَعَلَمَهَا، وَلَمْ يَعْمَلْ بِهَا، لاَ تُفِيدُهُ إِلاَّ بِالعَمَلِ. وَ مِثْلُهُ أَيْضاً لَوْ كَانَ لِرَجُلٍ حَرَارَةً وَمَرَضٌ صَفْرَاوِيّ يَكُونُ عِلاَجُهُ بِالسَّكَنْجَبَين وَالكَشْكَابْ، فَلاَ يَحْصُلُ البُرءُ إِلاَّ بِاسْتِعْمَالِهِمَا.(...)،وَ لَوْ قَرَأْتَ مَائَةَ سَنَةٍ، وَ جَمَعْتَ أَلْفَ كِتَابٍ، لاَ تَكُون مُسْتَعِدّاً لِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِلاَّ بِالْعَمَلِ،وَ أَنَ لَيْسَ للاِنْسَانِ إِلَا مَا سَعَى»[2]، و تشمل هذه النصيحة ما يلي:

- ✓ يوصيه دائماً و أبداً على ضرورةِ إقتران العلم بالعمل.
- ✓ يؤكد على إلزامية إقتران العلم بالعمل« هذا النوع من العلم هو علم العمل، لهذا كانوا يقولون "العلم ينادي بالعمل فإنّ أجابَهُ و إلّا إرتحل"»[3].
- ✓ يضرب مثلاً على ذلك رجلٌ تعلم مائة سنة و لم يعمل بهذا العلم ما نفعه!.

---

[1]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية-أيها الولد-، ج3، ص: 137.

[2]: المصدر نفسه، ص: 138.

[3]: الحبيب علي الجفري، برنامج أيها المريد2، الحلقة الأولى(العقبات السبع في طريق السير إلى اللّه).

*: بمعنى أقوى.

- ✓ حث العبد و أوجب عليه التعلم، .﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ (سورة العلق)، و ربط هذا العلم بالعمل الصالح.

4. النصيحة الرابعة (الإيمان): «وَ الإِيْمَانُ قَوْلٌ بِلِسَانٍ، وَ تَصْدِيقٌ بِالْجَنَانِ، وَ عَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ، وَ دَلِيْلُ الأَعْمَالِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَى، وَ إِنْ كَانَ العَبْدُ يَبْلُغُ الجَنَّةَ بِفَضْلِ اللهِ تَعَالَى وَ كَرَمِهِ، لَكِنْ بَعْدَ أَنْ يَسْتَعِدَ بِطَاعَتِهِ وَ عِبَادَتِهِ، لأَنَّ رَحْمَةُ اللَّه قَرِيبٌ مِنَ المُحْسِنِينَ»[1]، و تشمل هذه النصيحة ما يلي:

- ✓ عليكَ بالعمل بما تعلمته، فالمؤمن الصادق بحق من أتبع علمه بعمله.

و قوله: «أَيُّها الوَلدُ: مَا لَمْ تَعْمَلْ لَمْ تَجِدِ الأَجْرَ. حُكِيَ أَنَّ رَجُلًا منْ بَني اسْرائيلَ عَبَدَ اللّهَ تَعَالَى سَبْعينَ سَنَةً فأَرَادَ اللّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْلُوه عَلَى الملَائكَة، فأَرْسَلَ اللَّهُ مَلَكًا يُخْبِرُهُ أَنَّهُ مَع تِلْكَ العِبَادَةِ لَا يَليقُ بِهِ دُخُولُ الجَنَةِ، فَلَمَا بَلَغَهُ قَالَ العَابِدُ: نَحْنُ خُلِقْنَا للعِبَادَةِ فَيَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَعْبُدَهُ، فَلَمَا رَجَعَ المَلَكُ قَال: إِلَهِي أَنْتَ أَعْلَمُ بِمَا قَال، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: إِذَا هُوَ لَمْ يُعْرِضْ عَنْ عِبَادَتِنَا فَنَحْنُ مَعَ الكَرَمِ لَا نُعْرِضُ عَنْهُ، اشْهَدُوا يَا مَلَائِكَتِي أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَه»[2]. و تشتمل هذه النصيحة على:

- ✓ أن العمل مقترنٌ بالأجر، و ضرب مثلاً لرجلٍ من بني إسرائيل.

5. النصيحة الخامسة (مُحاسبة النفس): «و قَال رَسُولُ اللّهِ صَلَّ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلْمِ: حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَ زِنُوا أَعْمَالَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا(...)، و قَال صَلَّ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلْمِ: الكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَ عَمَلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَ الأَحْمَقُ مَنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ، وَ تَمَنَّى عَلَى اللَّهِ تَعَالَى الأَمَانيَّ»[3]. و هذه النصيحة تشتملُ على:

- ✓ ضرورة محاسبة النفس قبل أن تُحاسب، و الشخص الفطن من يعمل لأجلِ أُخراه.

6. النصيحة السادسة (الباعث على العمل): «أَيُها الوَلدُ: كَمْ مِنْ لَيَالٍ أَحْيَيْتَهَا بِتِكْرَار

---

[1]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية-أيها الولد-، ج3، ص: 139.

[2]: المصدر نفسه، ص: 140.

[3]: المصدر نفسه، ص: 140.

العِلْمِ، وَ مُطَالَعَةِ الكُتُبِ، وَ حَرَّمْتَ نَفْسَكَ النَوْمَ؟ لَا أَعْلَمُ مَا كَانَ البَاعِثُ فِيهِ؟ إِنْ كَانَ نَيْلُ عَرْضِ الدُنْيَا وَ جَذْبِ حُطَامِهَا وَ تَحْصِيلِ مَنَاصِبِهَا، وَ المُبَاهَاةِ عَلَى الأَقْرَانِ وَ الأَمْثَالِ، فَوَيْلٌ لَكَ ثُمَ وَيْلٌ لَكْ. وَ إِنْ كَانَ قَصْدُكَ فِيهِ إِحْيَاءُ شَرِيعَةِ النَبيّ صَلَّ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلْمِ، وَ تَهْذِيبُ أَخْلَاقِكَ وَ كَسْرُ النَفْسِ الأَمَارَةِ بالسُوءِ، فَطُوبَى لَكْ ثُمَ فَطُوبَى لَكْ. وَ لَقَدْ صَدقَ مَنْ قَالَ شِعْرًا:

سَهَرُ العُيونِ لِغَيْرِ وَجْهِكَ ضَائِعٌ وَ بُكَائُهُنَ بِغَيْرِ فَقْدِكَ بَاطِلُ»[1]

و هذه النصيحةُ تشتمل على:

- ✓ أن يكون طلب العلم لوجه اللّه تَعالى، لا يبغي به الإنسان عرض الدنيا إنّما لوجه اللّه تعالى و كفى...
- ✓ و من كان قصده من العلم و العمل إحياء شريعة اللَّه تَعالى و السير على طريق رسوله الكريم فذاك أسمى المقاصد و أنبلُها...

و يقول: «أَيُها الوَلدُ: عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَكَ مَيِّتٌ، وَ أَحْبِبْ مَا شِئْتَ فَإِنَكَ مُفَارِقُهُ، وَ إِعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَكَ مَجْزِيٌ بِهِ»[2]، و تشمل هذه النصيحة على:

- ✓ أنه مهما طال عُمر المرء فإن مآله الموت.
- ✓ و كُل عمل يجازى به المرء صغيره و كبيره من خير أو شر.

و يقول: «أَيُّها الوَلدُ: أَيُّ شَيءٍ حَاصِلٌ لَكَ مِنْ تَحْصِيلِ عِلْمِ الكَلَامِ و الخِلَافِ و الطِبِ و الدَّوَاوِينْ وَ الأَشْعَارِ وَ النُجُومِ و العَرُوضِ وَ النَحْوِ غَيْرُ تَضْيِيعِ العُمْرِ بِخِلَافِ ذِي الجَلَالِ»[3]، و تشتمل هذه النصيحة على:

- ✓ أنه لا ينفع المرء إلّا عمله الصالح، و العلم و العمل يجب أن يكونا خالصين لوجه الله تعالى...
- ✓ كل العلوم تنصبُ في بوتقة العلم بشريعة الله عزّ و جلّ.

---

[1]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية-أيها الولد-، ج3، ص: 141.

[2]: المصدر نفسه، ص: 141.

[3]: المصدر نفسه، ص: 141.

و يقول: «أَيُها الوَلدُ: العِلْمُ بِلَا عَمَلٍ جُنُونٌ، وَ العَمَلُ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَا يَكُون(...)، وَ إِذَا لَمْ تَعْمَلْ بِعِلْمِكَ اليَوْمَ وَ لَمْ تَّدَارَكْ الأَيَامَ المَاضِيَةَ تَقُولُ غَداً يَوْمَ القِيَامَةِ: «فَأَرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً» فَيُقَالُ: يَا أَحْمَقْ أَنْتَ مِنْ هُنَاكَ تَجِيْءُ»[1]. و هذه النصيحة جاء فيها:

- ✓ على المرء أن يعمل بالعلم الذي تعلمه، فكلاهما يكمل الآخر.
- ✓ أن تكون غاية المرء من التعلم و العمل معًا، السبيل للوصول إلى الجنّة، فمستقرٌ و مُستَودع...

7. النصيحة السابعة (الطيور العلوية): «أَيُها الوَلدُ: اجْعَلْ الهِمَّةَ في الرُوحْ، وَ

الهَزِيمَةَ في النَفْسِ، وَ المَوْتَ في البَدَنِ، لأنَّ مَنْزِلَكَ القَبْر، وَ أَهْلُ المَقَابِرِ يَنْتَظِرُونَك في كُلِ لَحْظَةٍ مَتَى تَصِلُ إِلَيْهِمْ؟ إِيَاكَ إِيَاكَ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهِمْ بِلَا زَادٍ. قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هَذِهِ الأَجْسَادُ قَفَصُ الطُيُورِ، أَو اصْطَبْلُ الدَّوَابِ، فَتَفَكَرْ في نَفْسِكَ، مِنْ أَيُهُمَا أَنْتَ؟ انْ كُنْتَ مِنَ الطُيُورِ العُلْوِيَةِ فَحِينَ تَسْمَعُ طَنِينَ طَبْل إِرْجِعِي إِلَى رَبِّكِ، تَطِيرُ صَاعِداً إِلى أَنْ تَقْعُدَ فِي أَعَالِي بُرُوجِ الجِنَانْ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّم: إِهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَانِ مِنْ مَوْتِ سَعْد بْنَ مُعَاذْ»، و العِيَاذُ باللَّه إِنْ كُنْتَ مِنَ الدَّوَابِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾، فَلَا تَأْمَنْ انْتِقَالَكَ مِنْ زَاوِيَةِ الدَّارِ إِلى هَاوِيَةِ النَّار»[2]. جاء في هذه النصيحة الآتي:

- ✓ حث الشيخ الولد أن يتغلب على شهوات نفسه، و أن يجعل نصب عينيه فناء هذه الدّار، و ليتزود بالعمل الصالح و خير الزاد التقوى يقول سبحانه ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٧﴾ (سورة البقرة) .
- ✓ أشار أبو حامد الغزالي إلى قول أبي بكر الصديق، حيث شبه رضي اللَّه عنه النفس التَّقية بالطيور العلوية التي ترجع إلى ربِّها راضية مرضية، قال سبحانه:

[1]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية-أيها الولد-، ج3، ص: 142.

[2]: المصدر نفسه، ص: 143.

﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ (سورة الفجر).

8. النصيحة الثامنة (نداء): «أَيُها الوَلدُ: لَوْ كَانَ العِلْمُ المُجَرَدُ كَافِياً لَكَ وَ لَا تَحْتَاجُ إلى عَمَلٍ سِواهُ لَكَانَ نِداء: هَلْ مِنْ سَائِلْ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرْ؟ هَلْ مِنْ تَائِبْ؟، ضَائِعًا بِلَا فَائِدة؟(...)، أَيُها الوَلدُ: وَ مِنَ اللَيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَك، أَمْرٌ، و بالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ، شُكْرٌ، وَ المُسْتَغْفِرُونَ بالأسْحَارِ، ذِكْرٌ(...)، أَيُها الوَلدُ: رُويَ في وصَايَا لُقْمَان الحَكيمْ لابْنِه أَنَهُ قَالَ: يَا بُنَيَّ لَا يَكُونَنَّ الدِيْكَ أَكْيَسَ مِنْكَ! يُنَادِي بالأَسْحَارِ وَ أَنْتَ نَائِمٌ»[1]. و تشمل هذه النصيحة على:

- ✓ أن يتبع العلم العمل.
- ✓ يوصيه بقيام الليل و التهجد زيادةً في الحسنات.
- ✓ الإكثار من الاستغفار و ذكر اللّه في الليل.
- ✓ يوصيه بما أوصى به لقمان ابنه، أن يدع عنه الخمول و يسعى إلى ذكر اللّه و التسبيح في الليل...

9. النصيحة التاسعة (الطاعة و العبادة): «أَيُها الوَلدُ: خُلَاصَةُ العِلْمِ أَنْ تَعْلَمَ الطَاعَةَ وَ العِبَادَةَ مَا هِي: اعْلَمْ أَنَّ الطَاعَةَ وَ العِبَادَةَ مُتَابَعَةُ الشَارِعِ في الأَوَامِرِ وَ النَوَاهِي بالقَوْلِ وَ الفِعْل(...)، أَيُها الوَلدُ: يَنْبَغِي لَكَ أَنْ يَكُونَ قَوْلُكَ وَ فِعْلُكَ مُوَافِقاً لِلْشَرْعِ، إِذْ العِلْمُ وَ العَمَلُ بِلَا اقْتِدَاء الشَرْعِ ضَلَالَةٌ، وَ يَنْبَغِي لَكَ أَلَّا تَغْتَرَّ بالشَّطْحِ وَ طَامَاتِ الصُوفِيَة»[2]. و هذه النصيحة تشمل على:

- ✓ العلم أن تعلم الطاعة و العبادة ما هي؟ و الطاعة و العبادة أن تتبع المولى عز و جلّ في أوامره و تبتعد عن نواهيه قولاً و فعلاً.
- ✓ ينبغي أن لا يكثر المرء الكلام و يكون كلامه موافقاً للشرع.
- ✓ بيَّن للولد حقيقة الصوفية و أن لا يتبع ما جرى منها من حيّاد عن أصول الدين...

[1]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية-أيها الولد-، ج3، ص: 143-145.

[2]: المصدر نفسه، ص: 145.

10. **النصيحة العاشرة (المسائل الذوقية):** «وَ اعْلَمْ أنَّ بَعْضَ مَسَائِلِكَ التِي سَأَلْتَنِي عَنْهَا لَا يَسْتَقِيمُ جَوَابُهَا بالكِتَابَةِ وَ القَوْل، إنْ تَبْلُغْ تِلْكَ الحَالَة تَعْرِفُ مَا هِيَ، وَ إلَّا فَعِلْمُهَا مِنَ المُسْتَحِيلَات لِأَنَّهَا ذَوْقِيَّةٌ»[1]. و في هذا القول يُحيل الشيخ الولد إلى أنه توجد مسائل لا يمكن إدراكها إلى بالذوق، كحلاوة الحلو و مرارة المُرّ.

11. **النصيحة الحادي عشر(مراحل السالك):** «قَدْ وَجَبَ عَلَى السَالِكِ أَربَعَة أُمُورٍ:

*. الأمْرُ الأَوَلُ: اعْتِقَادٌ صَحِيحٌ لَا يَكُونُ فِيه بِدْعَةٌ.

*. وَ الثَاني: تَوْبَةٌ نَصُوحٌ لَا يَرْجِعُ بَعْدَهَا إلى الزَلْةِ.

*. وَ الثَالِثُ: اسْتِرْضَاءُ الخُصومِ حَتَى لَا يَبْقَى لِأَحَدٍ عَلَيْكَ حَقٌ.

*. و الرَابِعُ: تَحْصِيلُ عِلْمِ الشَرِيعَةِ قَدْرَ مَا تُؤَدَّى بِهِ أَوَامِرُ اللَّهِ تَعَالَى، ثُمَ مِنَ العُلُومِ الأُخْرَى مَا تَكُونُ بِه النَّجَاةُ»[2].

و ذَكَر الغزالي للولد حديثا للأصمّ حين سُئل عن الفوائد التي حصلها من العلم قال: «حَصَّلْتُ ثَمَانيَّ فَوَائِدَ مِنَ العِلْمِ، وَ هِيَ تَكْفِينِي مِنْهُ لِأَنِي أَرْجُو خَلَاصِي وَ نَجَاتِي فِيهَا»[3]، و هذه هي الفوائد الثماني:

*. «الفَائِدَة الأُولَى: (...)أَفْضَلُ مَحْبُوبِ المَرْءِ مَا يَدْخُلُ في قَبْرِهِ وَ يُؤَانِسُهُ فِيه، فَمَا وَجَدْتُهُ غَيْرَ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فَأَخَذْتُهَا مَحْبُوبًا لِي.

*. الفَائِدَة الثَانِيَة: أَنِّي رَأَيْتُ الخَلْقَ يَقْتَدُونَ بِأَهْوَائِهِمْ وَ يُبَادِرُونَ إِلَى مُرَادَاتِ أَنْفُسِهِمْ، فَتَأَمَلْتُ قَوْلَهُ تَعَالَى﴿فَأَمَا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّه وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى﴾(...)، فَبَادَرْتُ إِلى خِلَافِ نَفْسِي وَ تَشَمَّرْتُ لِمُجَاهَدَتِهَا(...).

*. «الفَائِدَة الثَالِثَة: أَنِّي رَأَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ يَسْعَى في جَمْعِ حُطَامِ الدُّنْيَا ثُمَ يُمْسِكُهُ قَابِضًا يَدَهُ عَلَيْه، فَتَأَمَلْتُ في قَوْلَهُ تَعَالَى﴿مَاعِنْدَكُمْ يَنْفَذُ وَ مَا عِنْدَ اللّهِ بَاق﴾، فَبَذَلْتُ مَحْصُولِي مِنَ الدُنْيَا لِوَجْه اللّهِ تَعَالَى(...).

---

[1]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية-أيها الولد-، ج3، ص: 146.

[2]: المصدر نفسه، ص: 146-147.

[3]: المصدر نفسه، ص: 147.

*. الفَائِدَة الرَابِعَةُ: أَنِّي رَأَيْتُ بَعْضَ الخَلْقِ ظَنَّ شَرَفَهُ وَ عِزَّهُ فِي كَثْرَةِ الأَقْوَامِ وَ العَشَائِرِ فَاغْتَرَّ بِهِمْ(...)، وَ تَأَمَلْتُ في قَوْلَهُ تَعَالَى﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، فاخْتَرْتُ التَقْوَى(...).

*. الفَائِدَة الخَامِسَة: أَنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ يَذُمُّ بَعْضَهُمْ بَعْضاً وَ يَغْتَابُ بَعْضَهُمْ بَعْضاً (...)، فَتَأَمَلْتُ قَوْلَهُ تَعَالَى﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾(...)، فَمَ حَسَدْتُ أَحَداً وَ رَضِيْتُ بِقِسْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

*. الفَائِدَة السَادِسَة: أَنِي رَأَيْتُ النَّاسَ يُعَادِي بَعْضَهُمْ بَعْضاً لِغَرَضٍ وَ سَبَبٍ(...)، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَا تَجُوزُ عَدَاوَةُ أَحَدٍ غَيْرَ الشَّيْطَان.

*. الفَائِدَة السَابِعَة: أَنِي رَأَيْتُ كُلَ أَحَدٍ يَسْعَى بِجِدٍ وَ يَجْتَهِدُ بِمُبَالَغَةٍ لِطَلَبِ القُوتِ وَ المَعَاشِ(...)، فَعَلِمْتُ أَنَ رِزْقِي عَلَى اللَّه تَعَالَى وَ قَدْ ضَمَنَهُ، فَاشْتَغَلْتُ بِعِبَادَتِهِ، وَ قَطَعْتُ طَمَعِي عَمَّنْ سِوَاهُ.

الفَائِدَة الثَامِنَة: أَنِي رَأَيْتُ كُلَ وَاحِدٍ مُعْتَمِداً عَلَى شَيْءٍ مَخْلُوقٍ(...)، فَتَأَمَلْتُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَ مَنْ يَتَوَكَلْ عَلَى اللَّه فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَ اللَّه بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّه لِكُلِ شَيْءٍ قَدَراً﴾، فَتَوَكَلْتُ عَلَى اللَّه تَعَالَى فَهُوَ حَسْبِي وَ نِعْمَ الوَكِيْل(...)»[1].

و تتضمن هذه النصائح الآتي:

- عليك بالعمل الصالح فهو أنيسُك في قبرك.
- جاهد نفسك، و حملها على الطاعة و أبعدها عن المعاصي و الشهوات التي تفتكُ بها.
- لا يغُرَنك المال فهو فانٍ لا محاله، و ليكن جمعك له لوجه تعالى...
- لا تكترث للأقوام التي تتباهى بالبنين و كثرتها و تظُن أنها أرفع الناس، بل أرفعهم و أكرمهم من كان تقيّاً مع الله تلك هي الرفعة.
- لا تحسُدِ النّاس على ما آتاهم الله من فضله.
- لا تعادي الخلق فالعداوة لا تجوز إلّا مع الشيطان.
- لا تشغلن بالك بالرزق فرزقُك يعرف عنوانكَ، إنّما إجتهد لتحصيله.
- لا تعتمد على مخلوقٍ و أنت و هو عبادٌ للخالق، هو الذي عليه الإتكال و الإعتماد.

[1]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية-أيها الولد-، ج3، ص: 147 إلى 150.

12. النصيحة الثانية عشر(سبيل الحق): «أَيُّها الوَلدُ: (...)، و الآْنَ أُبَيِّنُ لَكَ مَا يَجِبُ عَلَى سَالِكِ سَبِيلِ الْحَقِّ: إِعْلَمْ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْسَّالِك شَيْخٌ مُرْشِدٌ مُرَبٍّ، لِيُخْرِجَ الأَخْلاَقَ الْسَّيِّئَةَ مِنْهُ بِتَرْبِيَتِهِ، وَيَجْعَلَ مَكَانَهَا خلُقاَ حَسَناً، وَ مَعْنَى الْتَرْبِيَة يُشْبِهُ الْفَلاَّحَ الَّذِي يَقْلَعُ الْشَّوْكَ وَ يُخْرِجَ النَّبَاتَاتِ الأَجْنَبِيَةَ مِنْ بَيْنِ الْزَّرْعِ لِيَحْسُنَ نَبَاتَهُ وَ يَكْمُلَ رَيْعَهُ، وَ لَا بُدَّ لِلْسَّالِكِ مِنْ شَيْخٍ يُؤَدِبُهُ وَ يَرْشُدُهُ إِلَى سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى(...)، وَ شَرْطُ الْشَيْخِ الَّذِي يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ نَائِبًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَ سَلَامُهُ عَلَيْهِ(...)، وَ إِنِّي أُبَيِّنُ لَكَ بَعْضَ عَلاَمَاتِهِ عَلَى سَبِيلِ الإِجْمَالِ حَتَى لَا يَدَّعِي كُلُ أَحَدٍ أَنَّهُ مُرْشِدٌ(...)»[1]، ثم يسردُ علامات المُعلمِ الصالح و منها: (أن يكون سائرًا على طريق رسول اللّه صلَّ اللّه عليه و سلّم، أن يكون مُحسنًا رياضة نفسه بقلة الأكل و القول و النوم، كثرة الصلاة و الصدقة و الصوم، أن يحسُن أخلاقهُ كالصبر و الصلاة و الشكر و التوكل و اليقين و طمأنينة النفس و الحلم و التواضع و العلم و الصدق و الحياء و الوفاء و الوقار و السُكون و التأني و أمثالها)، و هذه النصيحة جاء فيها: أنَّ سبيل الحق الذي يتبعه السالك هو إتباع شيخ مُرشدٍ مرّبٍ، و ذكر صفات(علاماتٍ) للشيخ الصالح وجب أنّ يتحلى بها(كالصبر و التواضع و الشكر و التوكل...).

13. النصيحة الثالثة عشر(خصال التصوف): «ثُمَ إِعْلَمْ أَنَّ التَصَوُّفَ لَهُ خِصْلَتَانِ: الإِسْتِقَامَة مَعَ اللَّهِ تَعَالَى، وَ الْسُّكُونُ عَنْ الخَلْقِ. فَمَنْ إِسْتَقَامَ مَعَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَ أَحْسَنَ خُلُقَهُ بِالْنَّاسِ وَ عَامَلَهُمْ بِالحِلْمِ فَهُوَ صُوفِيٌّ(...)»[2].

و بيَّن الشيخ الغزالي للولد خصلتان من خصال المتصوف و هما أن يستقيم مع اللّه تعالى، و أن يُحسن خلقه مع الناس.

14. النصيحة الرابعة عشر(العبودية): «ثُمَ إِنَّكَ سَأَلْتَنِي عَنْ العُبُودِيَة وَ هِيَ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءٍ:

أَحَدُهُمَا: مُحَافَظَةُ أَمْرِ الْشَرْعِ.

---

[1]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية-أيها الولد-، ج3، ص: 150-151.

[2]: المصدر نفسه، ص: 152.

وَ ثَانِيهِمَا: الرِضَاءُ بالْقَضَاءِ وَ الْقَدَرِ وَقِسْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى.
وَ ثَالِثُهُمَا: تَرْكُ رِضَاءِ نَفْسِكَ فِي طَلَبِ رِضَاءِ الْلَّهِ تَعَالَى»[1].

و هذه النصيحة تُبيّنُ للولد ما هي العبودية؟ فالعبودية ثلاث في نظر الشيخ.

15. النصيحة الخامسة عشر(التوكل): «وَسَأَلْتَنِي عَنْ الْتَوَكُلِ: وَ هُوَ أَنْ تَسْتَحْكِمَ اعْتِقَادَكَ بالْلَّهِ تَعَالَى فِيمَا وَعَدَ، يَعْنِي تَعْتَقِدَ أَنَّ مَا قَدَرَ لَكَ سَيَصِلُ لَكَ لاَ مَحَالَةَ(...)»[2].
لقد بيّن العلامة الغزالي للولد المعنى الحقيقي للتوكل، و هو أن تفوض أمرك للّه تعالى و أن ترضى بما قسمه اللّه لك، فما هو لك سيصلك و لو إجتمعت الإنس و الجنّ، و ما ليس لك لن يصلك و لو أعانك عليه كل من في الأرض.

16. النصيحة السادسة عشر(الإخلاص): «وَسَأَلْتَنِي عَنْ الْإِخَلَاصْ: وَ هُوَ أَنْ تَكُونَ أَعْمَالُكَ كُلُهَا لِلَّهِ تَعَالَى، وَ لَا يَرْتَاحُ قَلْبُكَ بِمَحَامِدِ الْنَّاسِ، وَ لَا تُبَالِي بِمَذَمَتِهِمْ(...)»[3]، و في هذه النصيحة يشير الغزالي لتلميذه أن يعقد العزم في أعماله و يجعلها خالصةً لوجه اللّه.

17. النصيحة السابعة عشر(الباقي من المسائل): «أَيُّها الوَلدُ: وَ الْبَاقِي مِنَ مَسَائِلِكَ بَعْضُهَا مَسْطُورٌ فِي مُصَنَفَاتِي فَاطْلُبْهُ ثَمَةَ(...)، اعْمَلْ أَنْتَ بِمَا تَعْلَمْ لِيَنْكَشِفَ لَكَ مَا لَمْ تَعْلَمْ. أَيُّها الوَلدُ: بَعْدَ الْيَومِ، لَا تَسْأَلْنِي مَا أَشْكَلَ عَلَيْكَ إِلَّا بِلِسَانِ الْجَنَانِ* لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَ لَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ﴾ وَ اقْبَلْ نَصيحَةَ الخِضْر عَلَيْهِ السَّلاَمُ، حِينَ قَال: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً﴾ وَ لاَ تَستَعْجِلْ حَتى تَبْلُغَ أَوَانَهُ يُكْشَفُ لَكَ وَ تَرَاهُ﴿سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُون﴾ فَلَا تَسْأَلْنِي قَبْلَ الوَقتْ، وَ تَيَقَنْ أَنَّكَ لَا تَصِلُ إِلَّا بالسَيّرِ، لقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوَ لَمْ يَسِيْرُوا فِي الْأَرْضِ فَي فَيَنْظُرُوا﴾.

---

[1]: عبد المالك السّليماني، و آخرون ، الدراسات الأدبية–أيها الولد–، ج3، ص: 152.
[2]: المصدر نفسه، ص: 153.
[3]: المصدر نفسه، ص: 153.
*: أي بلِّسان القلب و الحال.

أَيُّها الوَلدُ: باللَّهِ إِنْ تَسِرْ تَرَى الْعَجَائِبَ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ(...)، فَلَا تَشْتَغِلْ بِتُرَّهَاتِ الْصُّوفِيَّة»[1].

و جآء في هذه النصيحة: أن يعمل الولد بما يعلم، أي لا يتدخل في أمور لا يعرفها، و ضرب في ذلك مثلاً لقصة سيدنا الخَضِر مع موسى عليهما الصلاة و السلام و التي تبين لنا قيمة تربوية مهمة و هي الصبر، كما نبهه لأمرٍ و هو عندما يعمل بما يعلم سينكشف له ما لم يعلم، فلا يستعجل الأمور "في التأني السلامة و في العجلة الندامة". كما يشجعه على طلب المعرفة، و أن لا يشتغل بتوافه و تُرّاهات الأمور، و هذا مبدأ من مبادئ الصوفية.

18. النصيحة الثامنة عشر(نصائح ثمان): «أَيُّها الوَلدُ: إِنِّي أَنْصَحُكَ بِثَمَانِيَةِ أَشْيَاءٍ إِقْبَلْهَا مِنِّي لِئَلَا يَكُونَ عِلْمُكَ خَصْماً عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيامَة تَعْمَلْ مِنْهَا أَرْبَعَةً وَ تَدعْ مِنْهَا أَرْبَعَة، أَمَّا اللَوَاتِي تَدَعْ: ✍فَأَحَدُهَا: أَلَّا تُنَاظِرَ أَحَداً فِي مَسْأَلَةٍ مَا اسْتَطَعْتْ(...)، ثُمَ إِعْلَمْ أَنَ مَرَضَ الجَهْل عَلَى أَرْبَعَة أَنْوَاع: أَحدُهَا: يَقْبَلُ العِلَاج وَ البَاقِي لاَ يَقْبَله.أَمَا الْذِي لَا يَقْبَلُ العِلَاجَ فَأحدهَا مَنْ كَانَ سُؤَالُهُ وَ إِعْتِرَاضُه عَن حَسَدِهِ وَ بُغْضه(...)، قَالَ النّبيُ عَلَيْهِ السّلَام: الحَسَدُ يَأْكُلُ الحَسَنَات كَمَا تَأْكُلُ النَّارَ الحَطَبَ. و الثَانِي: أَنْ تَكُونَ عِلَتَهُ مِنَ الحَمَاقَةِ وَهُوَ أَيْضاً لَا يَقْبَلُ العِلَاجْ، كَمَا قَالَ عِيسَى عَلْهِ السَّلَام: إِنِّيَ مَا عَجِزْتُ عَنْ إِحْيَاءِ المَوْتَى وَ قَدْ عَجِزْتُ عَنْ مُعَالَجَةِ الأَحْمَقْ(...)، وَ الثَالِثُ: أَنْ يَكُونَ مُسْتَرْشِداً، وَ كُلُّ مَا لَا يَفْهَمُ مِنْ كَلَام الأَكَابِرِ عَلَى قُصُورِ فَهْمِهِ(...)، وَ أَمَا الْمَرَضُ الذِّي يَقْبَلُ العِلَاج فَهُوَ أَنْ يَكُونَ مُسْتَرْشِداً عَاقِلًا فَهِماً(...)، فَيَجُوزُ أن تَشْتَغِلَ بِجَوَاب سُؤَالِهِ، بَلْ يَجِبُ عَلَيْكَ إِجَابَتهُ.

✍و الثَانِي: مِمَّا تَدَعْ هُوَ أَنْ تَحذَرَ مِنْ أَنْ تَكُونَ وَاعِظاً وَ مُذَكِّراً لأَنَ فِيهِ آفَةٌ عَظِيمَةٌ، إِلَّا أَنْ تَعْمَلَ بِمَا تَقُول أَوَلًا ثُمَ تَعِظُ بِهِ النَّاس، فَفَكِرْ فِيمَا قِيلَ لِعِيسَى عَلَيْهِ السَلَامْ: يَا ابْنَ مَرْيَمْ عِظْ نَفْسَكَ فَإِنِ اتَعَظتْ: فَعِظْ النّاَس، وَ إِلَّا فإِسْتَحِ مِنْ رَبِّكَ(...)، ✍و الثَالثُ: مِمَّا تَدَعُ أَلّاَ تُخَالِطَ الأُمَرَاءَ وَ السَلَاطِينَ وَ لَا تَرَاهُمْ، لِأَنَّ رُؤْيَتَهُمْ وَ مُجَالَسَتُهُمْ وَ مُخَالَطَتِهِم آفَةٌ

[1]: عبد المالك السّليماني، و آخرون ، الدراسات الأدبية–أيها الولد–، ج3، ص: 153–154.

عَظِيمَةٌ، وَ لَوْ ابْتُلِيتَ بِهَا دَعْ عَنْكَ مَدْحَهُمْ وَ ثَنَاءَهُم(...)، ﴿وَ الرَابِعُ: مِمَّا تَدَعْ أَلَّا تَقْبَلَ شَيْئاً مِنْ عَطَاءِ الأُمَرَاءْ وَ هَدَايَاهُم، وَ إِنْ عَلِمْتَ أَنَّهَا مِنْ الحَلاَلِ(...)»[1]، الأمور التي نصح بها الشيخ الولد و دعاه إلى تجنبها:

1. يَنْهَاهُ عن مزالق الجدل في المسائل، إلّا إذا كان مطلبك منها إظهار الحق.
2. أنّ لا تأخذ صفة الواعظ الذي يبغي من وراء الوعظ السمعة و الظهور، إلّا إذا كنت تعمل بما تقول.
3. أنّ تتجنب مخالطة الأمراء و السلاطين، و إن لزم ذلك فدّع عنك مدحهم و ثناءهم.
4. لا تقبل عطايا الأمراء، لأنه ستَمَسُكَ عدوى ما يقومون به و في ذلك مضرةٌ لك، فإنّ إستطعت فاتجنبهُم.

و هذه أمورٌ أربع ذكرها الإمام حجّة الإسلام الغزالي و نهى الولد على الإتيان بها و دعاه إلى تركها و الإبتعاد عنها.

وَ أَمَا الأَرْبَعَةَ التِي يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَفْعَلَهَا:

﴿فالْأَوَلُ: أَنْ تَجْعَلَ مُعَامَلَتَكَ مَعَ اللَّه تَعَالَى بِحَيْثُ لَوْ عَامَلَ مَعَكَ بِهَا عبْدُكَ تَرْضَى بِهَا مِنْهُ، وَ لَا يَضِيقُ خَاطِرُكَ عَلَيْهِ وَ لَا تَغْضَبْ(...)،﴾ وَ الثَانِي: كُلَمَا عَمِلتَ بالْنَّاسِ اجْعَلْهُ كَمَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ، لِأَنَّهُ لَا يَكْمُلُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَى يُحِبَ لِسَائِرِ النَّاسِ مَا يُحِبُ لِنَفْسه. ﴿ وَ الثَالثُ: إِذَا قَرَأْتَ العِلْمَ أَوْ طَالَعْتَهُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عِلْمُكَ يُصْلِحُ قَلْبَكَ وَ يُزَكِي نَفْسَكَ(...)،﴾ و الرَابِعُ: أَلّاَ تَجْمَعَ مِنَ الدُنْيَا أَكْثَرَ مِنْ كِفَايَة سَنَة، كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّه عَلَيْهِ الصَلَاةُ وَ السَلَام يُعِدُّ ذَلِكَ لِبَعْضِ حُجُرَاتِهِ وَ قَالَ: اللَّهُمَ اجْعَلْ قُوتَ آلِ مُحَمّدٍ كَفَافاً (...)»[2]. الأمور التي حمّلها الشيخ و دعاه إلى الإتيان بها:

1. أنّ تجعل معاملتك مع اللّه خالصة صادقة تطيب بها نفسك.
2. أحببْ للنّاس ما تُحبُه لنفسك و لا تَحسُدهم.

[1]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية-أيها الولد-، ج3، ص: من 154 إلى 160.

[2]: المصدر نفسه، ص: 160-161-162.

3. عليك بتعلمِ العلم الصالح العلم الذي يزكي النفس و يرفعُها في أعلى عليين، و لا تشتغل بلغو الحديث فكله من سفاهة القول.

4. لا تجمع من الدنيا أكثر من كفاية سنة، و هنا يدعوه إلى التحلي بالقناعة...

و هذه أمور أربع دعا حجّة الإسلام الولد على الإتيان بها، بل وجب الأخذ بها و فعلها.

19. النصيحة التاسعة عشر(الحَثُّ على العمل بكل ما قيل سالفاً): «أَيُّها الوَلدُ: إِنِّي كَتَبْتُ فِي هَذَا الفَصْلِ مُلْتَمَسَاتِكَ فَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْمَلَ بِهَا وَ لَا تَنْسَانِي مِنْ أَنْ تَذْكُرَنِي فِي صَالِحِ دُعَائِكَ(...)»[1]، ثم يختم الشيخ الغزالي رسالته بدعاء، و أوصاه بقوله"و اقرأ هذا الدعاء في جميع أوقاتك خصوصاً أعقاب صلواتك"، (أنظر، في الجزء الأول من هذا الفصل عنصر الخاتمة ذُكِر فيها الدعاء)، و تشمل هذه الوصية عدة نصائح و إرشادات منها[2]:

1. سؤال الخالق بأن ينعم على الفرد بالحياة الهانئة.
2. لا تجعل للشيطان عليك سبيل بل توكل على اللّه.
3. لا تُعجب بمناصب الدنيا فإنّها زائلة.
4. حسن الظن باللّه و طلب الرحمة منه.
5. لا تستعجل فاللّه موجود رازق عليم.
6. خف على نفسك سوء الخاتمة.
7. إجعل كل صلاة كأنّها صلاة مودع لك.

و بحقٍ لا يوجد ما يوازي ما ذكره حجة الإسلام الغزالي من نصائح يهتدي بها الولد المُريد في السير إلى اللّه، فكانت هذه الرسالة ذا فائدة عظيمة المنفعة للعملية التربوية جمةً، كيف لا و قد إهتدى المُعلم في تعليم ولده بمنهج اللّه عزّ و جلّ و سنة نبيّه صلّ

[1]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية-أيها الولد-، ج3، ص: 162.

[2]: ينظر، مريم الخالدي، ناجي السعايدة، أحمد بدح، نصائح الإمام الغزالي في رسالة أيها الولد و قانون التربية و التعليم الحالي في الأردن، مجلة جامعة النجاح للأبحاث(العلوم الإنسانية)، الأردن، المجلد 29(7)، 2015، ص: 1265.

اللّه عليه و سلّم، بحيث مزج بين تربية الروح و تربية الجسد مزجاً لا انفصام لأحدهما عن الآخر، و الغاية من ذلك كلّه إنّما هي غاية تربوية تجمع بين طيّاتها تعاليم تدعو إلى تهذيب النفس و تزكيتها.

و في آخر هذا الفصل تبين لنّا أن نسيج البنّاء الفنّي لرسالة أَيُّهَا الوَلَدُ يتكون من عنصرين أساسيين هما (الشكل و المضمون)، يرتبطان إرتباطاً عضوياً متكاملاً في تناسب و تواؤم بين أجزاء هذين العنصرين، فجآءت الرسالة من حيث بنائها الفنّي مُحَبّرة في غايةٍ الإئتلاف بين أجزائها الفنّية، و ترابط أفكارها، و إتساق معانيها، من خلال لجوء الكاتب إلى تلاوين بلاغية و إيقاعية جميلة متناسبة، و أساليب تعبيرية متناغمة حققت صفة الجماليّة، التي جعلت منها أنموذجاً أدبياً شامخاً لأصالة النثر الأدبي في أزهى عصوره الأدبية.

الفصل الثانى:

جماليّة السّمات البنائية لرسالة "أيُّها الولد"

- أولاً: السّمات اللغوية و الأسلوبية.
- ثانياً: السّمات الإيقاعية.
- ثالثاً: السّمات التصويرية.

إنّ الأدب موضوع جماليٌّ من الدرجة الأولى«و الجمال استجابة ذاتية لأثر الأشياء في النفس»[1].

لقد شكلت رسالة "أيّها الولد" لأبي حامد الغزالي نسيجاً نثرياً حوى من الضروب و التلاوين البلاغية الموحية ما أفصح عن معانٍ لافتةٍ و صور أنيقة، أغنت آفاق التلقي و تأويله، حينما التحمت فيها الفلسفة بالعبارة الأدبية، فمثلت لنا خصائص العربية و دقائقها الجمالية تمثلاً تاماً عاكساً للروح العربية في أصالتها و إمتزاجها، و إصطُبغت بصبغةٍ ترمي إلى النصح المُخلل بالإحتجاج الموجه إلى الولد المريد.

تتجلى لنا في رسالة "أيها الولد"عبقرية الإمام الغزالي بكل وضوحٍ، فهي قائمة على عقلٍ ذكيّ واسع الإدراك، عميقٍ لا تفوته دقائق الأمور فيسبر الأغوار، و يرسل الأفكار مُنخَّلة، ثابتةً بعيدةً عن الاضطراب و الضعف، كثيرةً تتدفق في كل لفظةٍ و كل جملةٍ، متسلسلةً تترابط و تتساوق[2] مُشَكِلَةً مؤلفاً حسناً مقسم إلى فقرات، و كأنّ لكل فقرة وِحْدَة قائمة بنفسها، تتسلل الأفكار فيها بإيجاز محكم من غير غموضٍ و لا تعسُّف، «في قوةٍ استمدتها من عاصفة شديدة تعصف بالكلام عصفا فيجري على الأساليب المتنوعة»[3]، كل ذلك في صياغةٍ حسنةٍ و عناية باللفظ ظاهرة.

و عبقرية الإمام قائمة أيضاً على رؤاه الواسعة التي تُصَوّر المعنى تصويراً دقيقاً واضحاً، يتخذه من الواقع و من الآثار التي تخمرت في نفسه(من الكتاب و السنة)، لتجسد لنا لوحاتٍ فنيّة كثيرة الجمال، فتبعث في النص حياةٍ نابضةً بالألفاظ البليغةً المؤثرةً أشد ما تأثير و الدالة على مقدرة الرجل و تحكمه بوسائل الإبداع التي راح يصورها بغير ما جهدٍ عقلي، و يقصد إليها قصداً عفوياً، فتأتي التشبيهات و الصور و الاستعارات و

[1]: مسلم حسب حسين، جماليات النص الأدبي دراسات في البنية و الدلالة، دار السياب، الأردن، ط1، 2007، ص:1.

[2]: ينظر: حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، المطبعة البولسية، بيروت، ط2، 1953، ص: 328-329.

[3]: المرجع نفسه، ص: 339.

ضروب المماثلة و السجع و غير ذلك من السّمات الجماليّة، كأنها من وحي الخاطر و الطبع، و من مقتضيات المعنى الذي إختلج في صدره و نَمَتْهُ عقيدته القوية...

لقد حُبِرت هذه الرسالة تحبيراً جماليّاً ظهر في سماتها البنائية، فألقت بضلالها في أرواحنا على رغم بُعد الزمان، فهي من الروعة في أسمى مكان، و لا عجب بعد هذا كلّه إذا قلنا أن رسالة أيُّها الولد"ثروة فكرية" أظهرت في طياتها سمات فنيّة كثيرة الجمال...

و الآن سنقف عند أبرز السمات الجماليّة في رسالة "أيُّها الولد"، و التي تتيح لنا تذوق النص بناءً على فهم بلاغي.

اتسمت رسالة "أيّها الولد" بسمات جماليّة أظهرت براعة و فصاحة في الكتابة و من هذه السمات:

- **أولاً: السّمات اللغوية و الأسلوبية:**

إنَّ كتابة الرسائل فن من الفنون الأدبية العالية المقام في النثر الأدبي، و هي تقف على براعة و فطنة الكاتب في تحبِّيرها و حسن رصفها، و ذلك بالوقوف على اسرار اللغة و طرق استخدامها، و حسن توظيفها في المكان المناسب لها، و من أهم تلك السمات:

1. جزالة الألفاظ:

اللفظة مادة لغوية و لبنة مهمة في بناء أي عملٍ أدبي«و هي كثيراً ما تسهم في تحديد قيمته الفنّية الجمالية، و على قدر براعة الأديب المبدع و دقته في اختيار اللفظة المناسبة، للتعبير عن المعنى المراد، يتحّقق لعمله الأدبي الإبداعي قيمته الجمالية و يتحقق أيضاً نجاح الأديب في عمله الإبداعي»[1]، و الإهتمام باللفظ هو ذاته إهتمام بالمعنى، يقول ابن الأثير«558هـ-ت 637هـ»[2]: «فإذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظهم و حسنوها و رققوا حواشيها و صقلوا أطرافها، فلا تظن أنّ العناية إذ ذاك إنَّما هي بالألفاظ فقط بل هي خدمة منهم للمعاني(...)، فإننا قد نجد من المعاني الفاخرة ما يشوه من

[1]: غانم جواد رضا الحسن، الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع للهجرة ، ص: 380-381.

[2]: حنا الفاخوري، منتخبات من الأدب العربي، منشورات المكتبة البولسّية، بيروت، ط5، 1970، ص: 425.

حسنه بذاذة لفظه و سوء العبارة منه»[1]، «و بذا تكون الألفاظ في النص الأدبي (الفني) بوصفها مادة بنائه مشعة موحية ذات طاقة تعبيرية متجددة»[2]، و مؤثرة أشد ما تأثير على المعنى، و كذا في عملية التواصل بين المرسل و المرسل إليه، فكلما كانت المفردة اللغوية بليغة و موحية أثرت في نفس المتلقي و بعثته على التأمل و التدبر و أكسبت التعبير الأدبي قيمة جمالية تتجلى في الاختلاف بين العمل الخاص و العام، يقول عدنان حسين العوادي في ذلك: و كذا فإن اللفظة تُكسب للتعبير الأدبي طابعاً خاصا، يميزها عما كانت تمتلكه من دلالات وضعية لكونها شأناً عاماً، حين يستخدمها النّاس وسيلة مشتركة للتفاهم فيما بينهم، بينما ترتفع في التعبير الأدبي إلى شكل أعلى تأثيراً مستشعرةً دلالاتها و علاقاتها في بناء إيقاعي على نحو معين[3]، بحيث نرى –على ما سبق ذكره– أن اللفظة(المفردة) في النص الأدبي(الفنّي) لا تحمل دلالات معجمية فقط، بل زيادة على ذلك تحمل دلالات إيحائية(مجازية)، يقول أبو هلال العسكري(ت395ه) مؤكدا على قيمة اللفظة في النص الأدبي: «إنّ جودة الكلام ما كان فيه اللفظ جزلاً، سهلاً لا ينغلق معناه و لا يستبهم مغزاه، و لا يكون مكدوداً مستكرهاً، و متوعراً متقعراً، و يكون بريئاً من الغثاثة، عارياً من الرثاثة(...)، و الكلام إذا كان لفظه غثاً، و معرضه رثاً، كان مردوداً، و لو احتوى على أجلِّ معنى و أنبله و أرفعه و أفضله»[4].

و جزالة اللفظ تجمع بين المتانة و العذوبة يقول أبو هلال العسكري عن جزالة اللفظ: «ما لم يكن بالمغرب البدوي و لا السفساف العامي، و لكن ما اشتد أسره، و سَهُلَ لفظه، و نأى و استصعب على غير المطبوعين مرامه، و توهم إمكانه[5] »، و المُطلع على رسالة "أيّها الولد" لحجة الاسلام أبي حامد الغزالي يجد فيها سهولةً في استخدام الألفاظ و وضوحها و جزالتها (طغى على الرسالة توظيف الألفاظ "الدينية" المقتبسة من

[1]: أبو الفتح ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1939، ج1، ص: 65-66.

[2]: غانم جواد رضا الحسن، الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع للهجرة، ص: 381.

[3]: ينظر: عدنان حسين العوادي، لغة الشعر الحديث في العراق، دار الحرية للطباعة و النشر، بغداد، د.ط، 1985، ص:9.

[4]: أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص: 73.

[5]: المصدر نفسه، ص: 70-73.

الكتاب و السنة و التي جاءت مناسبة لموضوع الرسالة)، فانتُقِيت الألفاظ و بُرع في إختيار ما يناسب منها الأفكار التي تتلاءم مع المعنى و تعبر عنه بأدق تعبيرٍ، و تدل عليه خير دلالة و من ذلك ما جاء فيها على سبيل الذكر لا الحصر: «أَيُها الوَلدُ: النَصيحَة سَهْلَةٌ، وَ المُشْكِلُ قُبُولُهَا، لأَنَّهَا فِي مَذَاقِ مُتَّبِعِي الهَوَى مُرَّةٌ، إِذِ المَنَاهِي مَحْبُوبَةٌ فِي قُلُوبِهِمِ (...)»[1].

الناظر لألفاظ الفقرة السابقة يجدها سهلةً، اتسمت بالوضوح و الجزالة فهو يخبره عن أنه لا ضرر في قول النصيحة و إنّما يكمن الضرر في الشخص هل يتقبلها أم لا..!؟، لاحظنا أنه صاغ الفكرة بطريقةٍ مبتكرة، في تآلف بين اللفظ و المعنى فأخْرِجَت في صورة اتسمت بالوضوح و الجزالة و البعد عن التعقيد و الغرابة و التوعر.

و من ذلك أيضاً: «أَيُها الوَلدُ: خُلَاصَةُ العِلْمِ أَنْ تَعْلَمَ الطَاعَةَ وَ العِبَادَةَ مَا هِي: اعْلَمْ أَنَّ الطَاعَةَ وَ العِبَادَةَ مُتَابَعَةُ الشَارِعِ في الأَوَامِرِ وَ النَوَاهِي بالقَوْلِ وَ الفِعْل»[2]، قارئُ هذه الفقرة يرى أنه لا يجد صعوبةً في قراءتها و فهم معناها، فألفاظها جاءت واضحةً محددة تسعى لتقديم المعنى المطلوب في أبهى حلّه و إيصاله لذهن القارئ دون تكلفٍ، فاللفظة ما هي إلّا خدمٌ للمعنى بل هما كالجسم و الروح، يقول ابن رشيق القيرواني(ت456ه): «اللفظ جسمٌ و روحه المعنى، و إرتباطه كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه و يقوى بقوته»[3].

و بإستعراض النماذج يلاحظ القارئ أنه لا يجد صعوبة في قراءتها و فهم معناها(بعيدة عن الغموض)، لتميز ألفاظها بالسهولة و الوضوح و الرقة و الجمال مع جزالة تخدم المعنى.

---

[1]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية –أيها الولد–، ج3، ص: 137.

[2]: المصدر نفسه، ص: 145.

[3]: ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر و آدابه، 217.

2. الإقتباسُ و التضمين:

تتأتى القوة و الجمالية للنص في ارتباطه بالموروث الأدبي، أو ما يعرف ب:"تحاور النصوص" (أي إستحضار النصوص القديمة في النص الجديد)، فينشأ عمل أدبي تتفاعل و تتداخل فيه نصوص سابقة بالنص المُبْتَدع.

و القارئ لرسالة "أيها الولد" لحجة الإسلام يرى تداخلاً لنصوص سابقة في نص الرسالة، فبدا ذلك واضحاً من خلال العطاء الدلالي للمفردات و العبارات و التراكيب التي استوحاها من قبس القرآن العظيم أو الحديث النبوي الشريف أو الشّعر أو الحكمة(و بالأخص النص القرآني و الحديث النبوي حيث شكلا أداءً شائعاً في عباراته).

إنّ الإستعانة بالنصوص السابقة و إستحضارها في نص جديد بمثابة تجلٍّ مُبْهِر للمخزون المعرفي للمبدع، و الرجوع للموروث الأدبي و استدعاؤه في النّص من أكثر الظواهر الأدبية دقةً و فعاليةً، فما تشكل النص الإبداعي إلّا انبثاق عن استدعاءٍ و تداخل و تزاوج بين تشكيلات قديمة تمنح له بعداً دلالياً أوسع عن سابق قصد للاستدعاء أو دون ذلك، يقول رولان بارت«و كل نصّ أدبي هو انبثاق عمّا سبقه من نصوص تماثله في جنسه الأدبي»[1].

و الاقتباس و التضمين هما بوابتان لتداخل و إستحضار النصوص و تفاعلها في تزاوجٍ بين المخزون القديم و العمل المُبتَدع، و الذي نراه واضحاً في رسالة "أيها الولد" للغزالي بحيث أكسبها قيمة جمالية خالدة...

✓ لقد لاحظنا أن مصطلح "الاقتباس و التضمين" في العصر الحديث عرف مسمى

آخر و هو التناصُّ"Intertextualité"، لذلك قد تختلط المسميات على الباحثين. حتى عدّ بعض النقاد الاقتباس و التضمين فكرتين تحملان الملمح القديم للمصطلح الحديث للتناصّ[2]، فالتناصّ هو المسمى الجديد لفنيّ الاقتباس و التضمين.

[1]: رولان بارت، لذة النص، تر: فؤاد صفاء و الحسين شيحان، دار توبقال للنشر، المغرب، 1988، ص: 35.

[2]: ينظر: عبد الواحد لؤلؤة، التناص مع الشعر الغربي، مجلة الأقلام، بغداد، العدد 12، 1994، ص: 26-30.

1.2. الإقتباس:

يعد الاقتباس من الألوان البلاغية التي تكسب النص جمالية، و جاء في تعريفات: «أن تدرج كلمة من القرآن، أو آية منه في الكلام تزييناً لنظامه، و تضخيماً لشأنه»[1]، «أو من حديث الرسول صلّ الله عليه و سلّم»[2]، و اشترط السيوطي(ت911ه) في هذا الفنّ «ألّا يصرح الشاعر أو الناثر بقوله قال الله تعالى و نحوه»[3]، كاستباقنا للحديث بقولنا: "قال رسول الله صلّ الله عليه و سلم".

1.1.2. الإقتباس من القرآن الكريم:

يعد الاقتباس من القرآن الكريم أحد السمات البلاغية التي يلجأ إليها الكتاب في أعمالهم الأدبية، فمنهم من يُضمن كتابته إحدى مفردات القرآن الكريم، أو يعمُد إلى الإفادة من تركيب بعينه(أخذ النص كما هو) من خلال عبارة ينقلها من القرآن الكريم، ليؤكد بها ما جاء به من أفكار، و نجد بعضهم يقتبس من آي القرآن الحكيم من خلال توظيف مضمون معنى سيق في محكم التنزيل و يفهم من السياق، كذا هنالك من يقتبس من قصص الشخصيات الدينية، و نلحظ أن الغزالي قد أكثر الاقتباس من فيضه العذب و حرص كثيراً على استمداد أفكاره و صوره من وحيه، لما يحمله من معجزات و سمات جمالية، ترقى إلى أعلى مصاف الإبداع، و كذا لما فيه من معانٍ سامية، و قيم نبيلة، و مفاهيم عظيمة تتصل بالإنسان و الحياة و الوجود و الكون...

و الآن سنعرض "بعضاً" ممّا وجد في رسالة "أيها الولد":

أ. **الإقتباس اللفظي:** و من ذلك ما جاء في الرسالة:

❋ يقول:« وَ إِنْ كَانَ قَصْدُكَ فِيهِ إِحْيَاءُ شَرِيعَةِ النَبيّ صَلَّ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلِّم، وَ تَهْذيبُ

---

[1]: فخر الدين الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق: إبراهيم السامرائي و محمد بركات حمدي أبو علي، دار الفكر للنشر، عمان، د.ط، 1985، ص: 145.

[2]: شهاب الدين محمد الحلبي، حسن التوسل الى صناعة الترسل، تحقيق: أكرم عثمان موسى، دار الرشيد، بغداد، د.ط، 1980، ص: 323.

[3]: جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ط2، 1951، ج1، ص: 111.

أَخْلَاقِكَ وَ كَسْرُ النَفْسِ الأَمَارَةِ بالسُوءِ، فَطُوبَى لَكَ ثُمَ فَطُوبَى لَكَ»[1]، فلفظة(طُوبَى) و التي وردت في القرآن الكريم في سياق قول الحق–تبارك و تعالى–:﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩﴾ (سورة الرعد)، و طُوبَى تعني هنيئاً لك بالعاقبة الحميدة و الفوز الأبدي و السعادة السرمدية التي سينالها جزاءً لإتباعه الطريق المحمدية و رقيِّه إلى رتبة الوراثة النبوية، ثم طوبى لك أي درجة أعلى من الأولى و –أغلب الظن– أن تكون الأولى في الدنيا و الثاني في الآخرة، و هذا المعنى لا يبتعد عن معنى الآية الكريمة المذكورة آنفاً.

إنّ لهاته المفردة(طُوبَى) أثر بالغ في بِنية النص، فنلحظ أنها ذكرت في سياقها الصحيح مع رصفٍ ناجحٍ لما يجاورها من مفرداتٍ، ولَّدت دلالات و معانٍ أَثْرت النص و أكسبته قيمة جمالية بالغة الأثر.

❋ و في موضع آخر يقول: «فَأَلْقِ فِي قُلُوبِهِمْ الرُعْبَ وَ رَوِعْهُمْ وَ حَذِّرْهُمْ عَمَّا يَسْتَقْبِلُونَ مِنَ المَخَاوِفِ»[2]، فلفظة (فِي قُلُوبِهِمْ الرُعْبَ) مقتبسة من قول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٢﴾(سورة الحشر)، اقتبس الكاتب هذا اللفظ القرآني (فِي قُلُوبِهِمْ الرُعْبَ)، و قام بتوظيفه لخدمة معناً استجدَّ في رسالته في موقف خاص، على غرار المشهد الترهيبي الذي ذكر في الآية الكريمة و على نفس المنوال، فجاء المعنى مطابقاً إلى حدٍّ كبير من المعنى القرآني.

ب. الإقتباس النصّي: يكثر الاقتباس النصّي عند أبي حامد الغزالي، و لقد رأينا أنه لا تكاد تخلو فقرة من فقرات الرسالة من فيض هذا النبع.

[1]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية –أيها الولد–، ج3، ص: 141.

[2]: المصدر نفسه، ص: 159.

❋ يقول:« لاَ تَكُون مُسْتَعِدّاً لِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى إلاَّ بِالْعَمَلِ وَ أَنَ لَيْسَ للانْسَانِ إلَا مَاسَعَى»[1]، مقتبسة من قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴿٣٩﴾﴾ مقتبسة من (سورة النجم)، « فَمَن كَانَ يَرجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً»[2]، مقتبسة من قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴿١١٠﴾﴾ (سورةالكهف)،«جَزاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُون»[3]، مقتبسة من قوله تعالى:﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴿٩٥﴾﴾ (سورة التوبة). «إِنَ الذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَالِحَاتِ كَانَتْ لَهُم جَنَّاتُ الفِرْدَوْسِ نُزُلاً خَالِدِينَ فِيها لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً»[4]، مقتبسة من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴿١٠٧﴾خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴿١٠٨﴾﴾(سورة الكهف)، «فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَلاَةَ، وَ اتبَعُوا الشَهَوَات فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً، إلّاَ مَنْ تَابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنّةَ وَ لَا يُظْلَمُونَ شَيْئاً»[5]، مقتبسة من قوله تعالى: ﴿۞فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾(سورة مريم).

الذي نلحظه في هذه الفقرة، أنها شُبعت بالاقتباسات التي وردت في صورة تركيب تم الاستدلال به كاملاً، و جاء هذا على وفق احتياج الكاتب، كي يوفي المعنى الذي يسعى لإبرازه حقه، و هو في ذا "ناجح" كيف لا! و قد أخذ من المثل الأعلى، فصور لنا حقيقة العلم النافع الذي لا ينفع صاحبه إلّا إذا أتْبَعه بعملٍ صالحٍ يستحق أن ينال به الرحمة و الجنّة جزاءً له.

❋ يقول أبو حامد الغزالي: «فَأَرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً»[6]، مقتبسة من قوله تعالى:﴿رَبَّنَآ

---

[1]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية–أيها الولد–، ج3، ص: 138.

[2]: المصدر نفسه، ص: 138.

[3]: المصدر نفسه، ص: 139.

[4]: المصدر نفسه، ص: 139.

[5]: المصدر نفسه، ص: 139.

[6]: المصدر نفسه، ص: 142.

أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴿١٢﴾ ﴾ (سورة السجدة).

❋ و يقول: «ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ»[1]، مقتبسة من قوله تعالى:﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴿٢٨﴾﴾ (سورة الفجر).

❋ و قوله في موضعٍ آخر: «وَ مِنَ اللَيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَك»[2]، مقتبسة من قوله تعالى:﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴿٧٩﴾﴾ (سورة الإسراء).

❋ و مما جاء فيها أيضاً: «و بالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ»[3]، مقتبسة من قوله تعالى:﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴿١٨﴾﴾ (سورة الذاريات).

❋ و قوله: «لاَ إِلَهَ إِلَّاَ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَالِمِيْنَ»[4]، مقتبسة من قوله تعالى:﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴿٨٧﴾﴾ (سورة الأنبياء)، فحين نطالع المقتطفات المذكورة آنفاً و نقف على تركيبها نلحظُ موهبة فنّية نادرة تتميز بإتقان تام و براعة نادرة، تنم على ثقافته الغزيرة التي إمتلأت و تشبعت بالثقافة الدينية، فخلق لنا تجانساً عجيباً يمتع الفكر و العقل، كما يمتع الحس و الذوق.

ج. الإقتباس الإشاري(إقتباس المعنى): و هو أن يضمن الكاتب نصه آية قرآنية من غير أن يلتزم بلفظها أو تركيبها، و هذا النوع نجده بكثرة في رسالة "أيها الولد"، فلا يكاد يحصى بل شكل ركيزةً أساسية في بناء النص، نجد الكاتب يشير في كثير من المرات إلى معاني آي من القرآن الحكيم و من ذلك:

---

[1]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية-أيها الولد-، ج3، ص: 142.

[2]: المصدر نفسه، ص: 143.

[3]: المصدر نفسه، ص: 143.

[4]: المصدر نفسه، ص: 163.

❋ يقول: أَيُّها الوَلدُ: «مَا لَمْ تَعْمَلْ لَمْ تَجِدْ الأَجْرَ»[1]، يحث الغزالي الولد على العمل و تظهر شدة إهتمامه و إعتنائه به(مَا لَمْ تَعْمَلْ) أي الصالحات، لم تجد الثواب و الجزاء كالجنة، يعني الجنة و إن كانت بفضل المولى تعالى، و لكن لا تنال إلّا بالعمل، فإنّ عملت قطعاً لا تحرم من الأجر، فجاء هذا المعنى على وفق ما قال المولى:﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ٢٤﴾ (سورة الواقعة)، نلحظ أن الإمام الغزالي قد إستقى من معاني هذه الآية في قالب لفظي جديد، فحين يقرأُ المتلقي ذاك النص يحيله إلى المنابع القرآنية و يستحضر هذه الآية التي استقى منها المعنى.

❋ و يقول: «نَحْنُ خُلِقْنَا للعِبَادَةِ فَيَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَعْبُدَهُ»[2]، أي الغاية المثلى و الأصل خلق الله للإنسان هي عبادته وحده لا شريك له فلا تشغلن نفسك بغير ما خلقت له، و هذا النص جاء على مقتبساً من الآية الكريمة: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ٥﴾ (سورة البيّنة).

❋ و يقول: « عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَكَ مَيِّتٌ»[3]، مقتبسة من قوله تعالى:﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ٢٦﴾(سورة الرحمان)، يؤكد الغزالي للولد على فناء الدنيا و زوالها، فما دامت للسلف كي تدوم للخلف إنّك ميّت و إنّهم ميتون.

❋ و يقول أيضاً مقتبساً: «يَا فُلَان، لَا تُكْثِرِ النَوْمَ باللَيلِ»[4]، مقتبسة المعنى من قوله عزّ و جلّ:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا٢﴾(سُورَةُ المُزَّمِّلِ)، فلإمام الغزالي يدعوا الولد، فلنقل بل يأمره في هذا النص بقيام الليل و التضرع للمولى عزّ و جلّ.

---

[1]: عبد المالك السّليماني، و آخرون ، الدراسات الأدبية–أيها الولد–، ج3، ص: 140.

[2]: المصدر نفسه، ص: 140.

[3]: المصدر نفسه، ص: 141.

[4]: المصدر نفسه، ص: 143.

❋ و ممّا جاء في النص أيضاً قوله: «فَبَادَرْتُ إِلَى خِلَافِ نَفْسِي وَ تَشَمَّرْتُ لِمجَاهَدَتِهَا وَ مَنْعِهَا عَنْ هَوَاهَا»[1]، و في هذا اقتباس من قوله جلّ في علاه: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾﴾(سُورَةُ النَّازِعَاتِ)، يحثه على مجاهدة نفسهِ و الإبتعاد عن هواها...

لقد رأينا في السابق من النصوص ما فيه اقتباس لمعانٍ من آي القرآن الكريم، و التي و إن دلت على شيءٍ فهي تدلُ على امتلاء ذهن الكاتب بالثقافة الدينية التي أوصلته إلى مرحلة أصبحت فيها كتابته تأتي على وفق هذا المثل الأعلى و ما أجلّهُ من مثلٍ بليغٍ غاية في الروعة و الجمال...

د.إقتباس الشخصيات الدينية و القصص القرآني:

نرى في نص رسالة أبو حامد الغزالي، ذِكرٌ للشخصيات الدينية بصورة لافتة، و

هذا ما يبّن لنا سعة محفوظه للموروث العربي و الديني خاصةً، فتردّدت أسماء عدد من الأنبياء عليهم السلام مثل: (الرسول صلّ الله عليه و سلّم، عيسى، و لقمان و غيرهم صلوات ربّي و سلامه عليهم أجمعين)، و جاءت في نصه من المواقف التي أتت نقلاً للمعاني التي يريدها من خلال التمثُّل بشخصياتٍ دينيةٍ في صورٍ متعددةٍ لأنَّ في قصصهم عبرةٌ لأُولي الأبصار...

❋ أخذ الإمام الغزالي من قصة سيدنا لقمان الحكيم عليه السّلام صورة النصح و

الإرشاد، فهو يوصي ابنه يقول: «يَا بُنَيَّ لَا يَكُونَنَّ الدِيْكَ أَكْيَسَ مِنْكَ! يُنَادِي بالأَسْحَارِ وَ أَنْتَ نَائِم»[2]، ففي هذا النص اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ﴾ من الآية ﴿١٣﴾(سُورَةُ لُقْمَانَ)، و قوله جلّ في علاه ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ من الآية ﴿١٧﴾(سُورَةُ لُقْمَانَ)، الإمام الغزالي في هذا النص يوصي الولد بإقامة الصلاة، فضمن معناً من سورة لقمان الحكيم جاء مناسباً للفكرة التي يريد إيصالها.

[1]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية، ج3-أيها الولد-، ص: 148.

[2]: المصدر نفسه، ص: 142.

❋ و يقول: «وَ اقْبَلْ نَصِيحَةَ الخِضْرِ عَلَيْهِ السَلام(...) فَلَا تَسْأَلْنِي قَبْلَ الوَقْت»[1]، أي لا تستعجل الأمور فكل شيء مقضي بأمر الله تعالى و اصبر و احتسب، و هذا مقتبس من قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ۝٧٠﴾(سُورَةُ الكَهْفِ).

إستحضر الشيخ الغزالي العديد من الشخصيات و القصص التي حواها كتاب الله العظيم، و ضمنها في نصه لتكون حجة له و برهاناً على كلامه و نصائحه الموجهة إلى الولد "ففي قصصهم لعبرة لأُولي الأبصار".

الملاحظ في النصوص السابقة المختارة من رسالة "أيها الولد" لأبي حامد الغزالي، إحتوائها على كثير من الاقتباسات القرآنية–على إختلاف أنواعها– ساعدت النص في الإنفتاحِ على عوالم غنية بالدلالات و الإيحاءات، و كذا لما يحمله النص القرآني من عظةٍ سديدةٍ، و توجيه قويمٍ، يناسب المقام الذي يحبّرُ فيه الكاتب رسالته و هو الوصية.

2.1.2. الإقتباس من الحديث النبوي الشريف:

كلٌ منّا يعلم أن المصدر التشريعي الأول في الاسلام هو القرآن الكريم ثم سنة النبيّ الكريم محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلوات و أتم التسليم.

القارئ لرسالة "أيها الولد" لأبي حامد الغزالي يرى أنه أفاد من الحديث النبوي الشريف، بوصفه مصدراً ثانيا للمضامين الدينية(الاقتباس الديني)، و نرى أنه تطرق إلى الجوانب التي جاء بها الرسول صلّ الله عليه و سلم الخاصة بأمور الدين و الدنيا...، و هذا دليل على توجهه إلى الجانب الديني و إهتمامه به خدمةً للعملية التربوية الأخلاقية .

❋ و من ذلك ما جاء في قوله: «تَعْتَقِدَ أَنَّ مَا قَدَّر لَكَ سَيَصِلُ إِلَيْكَ لَا مَحَالَة وَ إِنْ

[1]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية–أيها الولد–، ج3، ص: 153.

إجْتَهَدَ كُل مَنْ فِي العَالم عَلَى صَرْفِه عَنْكَ وَ مَا لَمْ يُكْتَبْ لَنْ يَصِلَ إلَيْكَ وَ إن سَاعَدَكَ جَمِيعُ العَالم»[1]، أي أن تتوكل على الحي القيوم فهو مدبر الأمور، و أن ترضى بالقضاء و القدر و لا تجزع من أفعال الناس، و أن ما قُدّر لك سيصلك لك، فما أحد يأخذ رزقك في مكانك، هذا النص المشار إليه سابقاً فيه اقتباس من الحديث الشريف قوله صلّ الله عليه و سلم: «عن ابن عَبَاس قَال: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ الله صَلّ اللهُ عَلَيه و سَلم يَوماً، فَقَالَ: يَا غُلَام إنِّي أُعَلِمُكَ كَلِمَاتٍ(...) وَ اعْلَمْ أَنَ الأمَةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنّ يَنْفَعُوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إلَّا بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَك، وَ لَو اجْتَمَعُوا عَلَى أن يَضُرُوكَ بِشَيءٍ لَم يَضُرُوكَ إلَّا بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَ جُفَتِ الصُحُفُ»[2].

❋ و قوله في موضعٍ آخر: «لَا يَكْمُلُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَىَ يُحِبَ لِسَائِرِ النَّاسِ مَا يُحِبُ لِنَفْسه»[3]، إن الاقتباس من الحديث الشريف واضح و جلي في هذه الفقرة، لحظ أن الإمام الغزالي يوصي الولد و يدعوه إلى التكافل و الإيثار، فبين أن من أهم عوامل رسوخ الإيمان في القلب، أن يحب الإنسان للآخرين حصول الخير الذي يحبه لنفسه من حلول النعم و زوال النقم، و بذلك يكمل الإيمان في القلب، إمتثالاً لقوله صلّ الله عليه و سلم: «عَنْ أَنَسٍ بنُ مَالِك رَضِيَ اللهُ عَنْه خَادِمُ رَسُول اللهِ صَلَّ اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَمْ قَال: لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَى يُحِبَّ لِأَخِيه مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[4].

2.2. التضمين:

الكاتب حين يكتب يرتكز على مخزونه الثقافي، و الذي يتكون من خلال حفظه و تأثره بالنصوص المتعاقبة على ذهنه، و قد ربط حجة الإسلام كثيراً بين نصه(رسالة أيها

---

[1]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية-أيها الولد-، ج3، ص: 153.

[2]: محي الدين أبي زكريا يحي بن شرف النّووي الدّمشقي، الأذكار النّوويّة، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، كتاب الاستغفار، 1262_التاسع و العشرون، ص: 410.

[3]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية-أيها الولد-، ج3، ص: 161.

[4]: الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجّاج القشيري النيسابوري(ت261ه)، بشرح النووي للإمام يحي بن شرف النّووي الدّمشقي الشافعي(ت 688ه)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الجزء الأول، دار الكتب العلمية، بيروت، 2017، كتاب الإيمان، باب 17 و 18، الحديث 71، ص: 15.

الولد) و نصوص من الموروث الثقافي العربي القديم، و هذا و إن دلَّ على شيء فهو يدلُّ على العلاقة القائمة بين المبدع و التراث القديم، حيث نرى أنه إستحضر صوراً شتى من شعرٍ و حكمةٍ و مثلٍ و غيرها...، ضمنها في نصه تبعاً لمقتضيات المقال أو الحال باعتبارها إشارات كافية لإستثارة ذاكرة المتلقي. و إستحضار الدلالة المصاحبة لها فور سماعها، أو قراءتها، لا سيّما و قد تميز بالفطرة السليمة، و الذوق الرفيع، و البلاغة الآسرة، ثم بذخيرة من العلم انفرد بها عن أقرانه[1].

تضمين الشعر القديم و حله في رسالة "أيها الولد" للغزالي يقول:

❁ «وَ لَقَدْ صَدَقَ مَنْ قَال شِعراً: سَهْرُ العُيُونِ لِغَيْرِ وَجْهِكَ ضَائِعُ
وَ بُكَاؤُهُنَ لِغَيْرِ فَقْدِكَ بَاطِلُ»[2]

و هو في هذا النص الشعري يؤكد ضرورة العمل و السهر لأجل العبادة كي ينال رضى الله و ينعم بالنظر لوجهه الكريم، و في هذا تضمين نصي لشعر أبي الهيثم خالد بن يزيد التميمي البغدادي المعروف ب: خالد الكاتب (ت262ه)[3].

❁ «وَ لَقَدْ أَحْسَنَ مَن قَال شِعْراً: لَقَدْ هَتَفَتْ فِي جُنْحِ لَيْل لَيْلٍ حَمَامَةٌ
عَلَى فَنَنٍ وَهْناً، وَ إِنِي لَنَائِمُ»[4]

لم يصرح الكاتب عن اسم الشاعر بل ضمن الشعر الذي يتلاءم مع المعنى المراد ايصاله و هو: أنْ يا أيها الولد لا تزعم أنك عابدٌ إلّا إذا أقمت الليل و عبدت الواحد القهار، أما ترى الحمامة التي تهتف في الليل و أنت نائم!. نلحظ أن الغزالي قد أخذ نصاً

[1]: ينظر: أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1986، ص: 32.

[2]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية-أيها الولد-، ج3، ص: 141.

[3]: ينظر: https://al-maktaba.org/book.com، 3-6-2022، 19:48.

[4]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية-أيها الولد-، ج3، ص: 144.

شعرياً لقيس بن الملوح (توفي ما بين 65 أو 68هـ)[1]، و ضمنه في نصه بما يتناسب مع المعنى.

❋ و يقول في موضعٍ آخر:«كُلُ العَدَاوَةِ قَدْ تُرْجى إِزَالَتُهَا
إِلَّا عَدَاوَةُ مَنْ عَادَاكَ عَنْ حَسَدٍ»[2]

في هذا النص الشعري يؤكد الكاتب أن أشد الناس عداوةً للمرء هو من عاداك عن حسد، فاستعان بنصٍ شعري يخدم المعنى، كان للشافعي (مات رحمه الله تعالى في ليلة الجمعة بعد العصر آخر يوم من رجب سنة 204 من هجرة النبيّ صلَّ الله عليه و سلم)[3].

رأينا كثرة تضمين الشعر و إستخدامه في الرسالة، و الذي جاء كنوعٍ من تأكيد الفكرة بالحُجَّة و البُرهان.

3. الإيجاز و الإطناب:

لم تسر فقرات رسالة "أيها الولد" على شاكلة واحدة، من حيث الإيجاز و الإطناب، و هما ملمحان أسلوبيان يساعدان في عرض الأفكار و بسطها، فنجدها تقصر و تطول حسب مقتضى الحال في تلاحم و تناسب بين الأسلوبين، فكل وصية تستدعي الإفاضة في عرض الأفكار و بسطها و الإطناب في إيراد المعاني و تشقيقها كان ذلك، و إلّا جاءت موجزة مختصرة دالةً وافيةً للمعنى المقصود.

---

[1]: ينظر: يسري عبد الغني، ديوان قيس بن الملوح(مجنون ليلي) برواية أبي بكر الوالبي، دار الكتب العلمية، لبنان، د.ط، 1971، ص: 8.

[2]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية–أيها الولد–، ج3، ص: 156.

[3]: ينظر: أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، تفسير الإمام الشافعي، جمعه و حققه: مجدي بن منصور بن سيّد الشّوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ص: 8.

1.3. الإيجاز:

جاء في تعريفه و الإيجاز «وضع المعاني الكثيرة في ألفاظ أقل منها وافية بالغرض المقصود، مع الإبانة و الإفصاح»[1]، أو هو «إندراج المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل»[2].

و من ذلك نذكر ما جاء في الرسالة:

❁ قوله: « وَ الإِيْمَانُ قَوْلٌ بِلِسَانٍ، وَ تَصْدِيقٌ بِالْجَنَانِ، وَ عَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ»[3]،هنا عرف الإيمان في ثلاث جمل كافية وافية، لاحظنا أنه إمتنع عن ذكر الأقوال التي تقال ليصح الإيمان و من ذلك مثلاً: أستغفر الله، الحمد لله...، و تصديقٌ بالجَنانِ أي تصديقٌ بالقلب، و عمل بالأركان حذف الأركان هنا و أشار إليها على سبيل أن الولد عالم بالأركان فاكتفى بذكر الاسم دون الحاجة إلى ذكرها.

❁ و قوله: « مَا لَمْ تَعْمَلْ لَمْ تَجِدْ الأَجْرَ»[4]، لاحظنا في هذا القول أنه تمكن من تأدية المعنى بلفظٍ قليل، بحيث فهمنا من قوله إستحالة كسب الأجر دون العمل، و هو في ذا أَفهمَ و أدّى المقصد المرجو في قالبٍ حوى المعنى بقليلٍ من اللفظ.

❁ و قوله: « العِلمُ بِلَا عَمَلٍ جُنُون، و العَمَلُ بِغَيرِ عِلمٍ لَا يَكُون»[5]، و هو في ذا القول أتى باللفظ القليل الشامل لمعانٍ كثيرةٍ، كان بإستطاعته الإسهاب في الشرح كأن يقول: إعلم أيها الولد أن العلم إن لم تتبعه بالعمل فلا فائدة من علمك...، و لكن لاحظنا

---

[1]: رشا فخري النحال، فن الرسائل في العصر المملوكي دراسة تحليلية، بحث مقدم استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الأدب و النقد، الجامعة الاسلامية غزة، كلية الآداب، قسم الآداب و اللغة العربية، 2013-2014، ص: 139.

[2]: يحي بن حمزة بن علي إبراهيم العلوي، الطراز، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت، ج2، ص: 88.

[3]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية-أيها الولد-، ج3، ص: 139.

[4]: المصدر نفسه، ص: 140.

[5]: المصدر نفسه، ص: 142.

أن لديه قدرة في إفهام المقصود من الكلام بأقل العبارات مع إيضاحٍ للمعنى دون الإخلال به أو إخراجه في صورةٍ غامضة.

فالإيجاز في هذه الفقرات، أظهر براعة الكاتب و اقتداره على إيصال الفكرة بسلالة، لتلقى في نفوسنا على صورة حكم و دُرر تقع في النفس فتترك بصمتها الخالدة، و كما قال العرب قديماً "قليلٌ كافٍ خيرٌ من كثيرٍ غير شافٍ".

2.3. الإطناب:

و مما جاء في تعريفه: «و الإطناب زيادة اللفظ على المعنى لفائدة تقويته و توكيده»[1]، و قولهم: « تأدية المعنى المُراد بعبارةٍ زائدة عليه. بشرط أن يكون الزائد لفائدةٍ: فإن لم يكن لفائدةٍ كان الكلامُ تطويلًا»[2] .

و من ذلك ما جاء في الرسالة:

❁ قوله: «وَ تَيَقَن أَنَ العِلْمَ المُجَرَدَ لا يُأْخَذُ باليَدِ، مِثَالُهُ لَو كَانَ عَلى رَجُلٍ فِي بَرِيَةٍ عَشْرَةُ أَسْيَافٍ هِنْدِيَةٍ(...)لا تَكُونَ مُسْتَعِدّاً لِرَحْمَةِ اللَه تَعَالَى إِلَّا بالعَمَل»[3]، يوصيه بالعمل و يضرب في ذلك أمثلة في مواضع شتى...

❁ و قوله أيضاً: «وَ تَأَمَّلْ فِي حِكَايَاتٍ أُخْرَى، وَ ذَلِكَ أَنَ حَاتِماً الأصَم كَانَ من أَصْحَابِ الشَّقِيقِ البَلْخِي(...)حَصَّلْتُ ثَمَانيَّ فَوَائِدَ مِنَ العِلْمِ، وَ هِيَ تَكْفِينِي مِنْهُ لِأَنِي أَرْجُو خَلَاصِي وَ نَجَاتِي فِيهَا ، فَقَال شَّقِيق مَا هِي؟ قَالَ الأَصَمّ(...) فَمَن عَمِلَ بِهَا كَانَ عَاملاً

[1]: رشا فخري النحال، فن الرسائل في العصر المملوكي دراسة تحليلية، ص: 139.

[2]: هند عبد الفتاح عبد التام إسماعيل، الإيجاز و الإطناب(دراسة تطبيقية في القرآن الكريم الثلث الأول)، بحث لنيل درجة التخصص الأولى(الماجستير)، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية اللغة العربية، قسم الأدبية و النقدية، 1423هـ-2002م، ص: 83.

[3]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية-أيها الولد-، ج3، ص: 138.

بِهَذِهِ الكُتُبِ الأَرْبَعَةِ»[1]، و هو في ذا ذكر حديثا دار بين حَاتِمِ الأصَم و الشَّقِيقِ البَلْخِي، و أسهب في ذكر الفوائد المرجوة من هذا الحديث و التي وجب للسالك المريد أن يسلكها.

❋ و قوله: « اعْلَمْ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْسَّالِك شَيْخٌ مُرْشِدٌ مُرَبٍّ، لِيُخْرِجَ الأَخْلاَقَ الْسَّيْئَةَ مِنْهُ بِتَرْبِيَتِهِ، وَيَجْعَلَ مَكَانَهَا خلُقاً حَسَناً(...)يَتْرُك صُحْبَتَهُ إِلَى أَنْ يُوَافِقَ بَاطِنَهُ ظَاهِرَه»[2]، و هو في هذا القول يحثُ الشيخ الولد على أن يسلك سبيل الحق و لا يحصل ذا إلّا إذا إتبع طريق شيخ مربٍّ مرشد، ثم يسردُ له صفات الشيخ...، فالإطناب ظاهر من خلال عرض الوصايا و توضيحها للولد و الغرضُ منه تأكيد و زيادة التصوير للمعنى.

نلحظ في رسالة "أيها الولد" أن الغزالي جمع في نصها بين الاقتضاب تارة و الإسهاب تارة حسب ما يقتضيه الحال.

4. الأساليب:

الأسلوب عموماً هو «المعنى المَصُوغُ في ألفاظ مؤَلفة على صورة تكون أقرب لنيل الغرض المقصود من الكلام و أَفعل في نفوس سامعيه»[3]، و الأسلوب الأدبي–خاصةً–

« الجمال أبرز صفاته، و أظهر مميّزاته، و منشأ جماله ما فيه من خيال رائع، و تصوير دقيق، و تلمُّس لوجوه الشبه البعيدة بين الأشياء، و إلباس المعنوي ثوب المحسوس، و المحسوس إظهار المحسوس في صورة المعنّوي»[4]، و الأساليب تنقسم إلى نوعين: خبري و إنشائي.

---

[1]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية–أيها الولد–، ج3، ص: 147 إلى 150.

[2]: المصدر نفسه، ص: 150 إلى 152.

[3]: علي الجارم، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة(البيان، المعاني، البديع)، دار المعارف، مصر، د.ط، 1999، ص: 12.

[4]: المصدر نفسه، ص: 13.

1.4. الأسلوب الخبري: و هو « أنَّ الكلام إن احتمل الصدقَ و الكذبَ لذاته، بحيث يصح أن يقال لقائله إنَّه صادقٌ أو كاذب، سمِّي كلاماً خبرياً»[1]، و مثال ذلك مما جاء في نص الرسالة:

❁ قوله: « النَصيحَة سَهْلَةٌ، وَ المُشْكِلُ قُبُولُهَا، لأَنَّهَا فِي مَذَاقِ مُتَّبِعِي الهَوَى مُرَّةٌ»[2] ،

ففي هذه الجملة تمّ إثبات صفة السهولة في النصيحة، و هذه الصفة ثابتة في النصيحة، و في هذا الغرض يقوم الغزالي بإفادة الولد فيما يعتقد عدم معرفته به، و هو حقيقة النصيحة.

❁ و يقول: «أنْ يَكُونَ البَحثُ فِي الخَلاءِ أَحب إليك مِنْ أَنْ يَكُونَ فِي المَلَأ»[3].

❁ «وَ إنْفَاقُكَ عَلَى ضُعَفَاءِ النَّاسِ خَيْرٌ مِنْ إنْفَاقِهِمْ»[4].

لاحظنا أن الغزالي قد استخدم الأسلوب الخبري في فقرات النص، لغايات منها تأكيد الفكرة المعالجة بالحجج و البراهين "بالدليل".

2.4. الأسلوب الإنشائي:

«و هو الكلام الذي لا يحتمل الصدق و الكذب لذاته، و لا يصحُّ أن يقال لقائله إنَّه صادق أَو كاذبٌ، لعدم تحقق مدلوله في الخارج و توقفه على النطق به»[5]، و ينقسم إلى قسمين: إنشاء طلبي و إنشاء غير طلبي.

---

[1]: عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط5، 2001، ص: 13.

[2]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية-أيها الولد-، ج3، ص: 137.

[3]: المصدر نفسه ، ص: 155.

[4]: المصدر نفسه، ص: 160.

[5]: عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص: 13.

1.2.4. الإنشاء الطلبي:

« ما يستلزم مطلوباً ليس حاصلاً وقت الطلب»[1]، وهو تسعة أقسام: أمرٌ، و نهيٌ، و استفهامٌ، و دعاءٌ، و عرضٌ، و تحضيضٌ، و تمنٍّ، و ترجٍّ، و نداء.

– الأمر: و قد عرفه العلوي على أنه: «صيغة تستدعي الفعل من جهة الغير على جهة الإستعلاء»[2]، و مثال ذلك:

«إِعْلَمْ أَن الطاَعَةَ وَ العِبَادَة(...) »[3]، و هو هنا يطلب منه تعلم الطاعة و العبادة على سبيل الإيجاب، و قوله: «فاسْتَحِ مِنْ رَبِّك»[4] أمرٌ على سبيل التهديد، و قوله: «عِظْ نَفْسَكَ»[5]، أمر و غرضه هنا النصح.

– النهي: و هو« طلب الكفّ عن الفعل على وجه الاستعلاء»[6]، على نحو:

« لا تَكُنْ مِنَ الأَعْمَالِ مُفْلِساً»[7]، و غرضه الالتماس. و قوله: «لا تُكْثِرِ النَّومَ باللَيل»[8]، و و غرضه النصح و الإرشاد.

– الإستفهام: و هو« طلب الفهم، أي طلب العلم بشيءٍ لم يكن معلوما»[9]، و مما

---

[1]: عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص: 13.

[2]: يحي بن حمزة العلوي، الطراز لأسرار البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت، ج3، ص: 281.

[3]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية–أيها الولد–، ج3، ص: 145.

[4]: المصدر نفسه، ص: 157.

[5]: المصدر نفسه، ص: 157.

[6]: عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص: 15.

[7]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية–أيها الولد–، ج3، ص: 137.

[8]: المصدر نفسه، ص: 143.

[9]: عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص: 18.

جاء في الرسالة قوله: « مَاذَا حَصَّلْتَ في هَذِه السِنينِ المَاضِية؟»[1]، و غرضه التعجب، و و قوله: «هَلْ تَدْفَعُ الأَسْلِحَةُ شَرَّهُ عَنْهُ بِلَا اسْتِعْمَالِهَا وَ ضَرْبِهَا؟»[2]، و غرضه هنا الإنكار أي لا تدفع عنه.

– الدعاء: و هو« طلب الفعل أو الكفّ من الأدنى للأعلى»[3]، كقوله:«اللَّهُمَ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ النِّعْمَةِ تَمَامَهَا (...)اللَّهُمَ ثَبِّتْنَا عَلَى نَهْجِ الاِسْتِقَامَةِ»[4].

– العَرْض: «و هو الطلب بلين و رفق»[5]، كقوله: «أَلَا لِيَقُم العَابِدُونَ»[6].

– التحضيض: «و هو الطلب في حثٍّ و إزعاج»[7]، كقوله: «أَلَا ليقُمْ الغَافِلُونَ»[8].

الغَافِلُونَ»[8].

– التمني: «و هو طلب حصول أمر محبوب مستحيل الوقوع أو بعيده»[9]، و مثاله: «فَأَرْجِعْنَا نَعْمَل صَالِحاً»[10].

– الترجي: «و هو طلب أمر قريب الوقوع»[11]، كقوله:

«أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ المَاءِ أَو مِمَّا رَزَقَكُم اللهُ»[12]، و هذا الترجي يحمل معنى الإشفاق.

---

[1]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية–أيها الولد–، ج3، ص: 136.

[2]: المصدر نفسه، ص: 138.

[3]: عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص: 16.

[4]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية–أيها الولد–، ج3، ص: 163.

[5]: عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص: 16.

[6]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية–أيها الولد–، ج3، ص: 144.

[7]: عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص: 16.

[8]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية–أيها الولد–، ج3، ص: 144.

[9]: عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص: 17.

[10]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية–أيها الولد–، ج3، ص: 142.

[11]: عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص: 17.

[12]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية–أيها الولد–، ج3، ص: 143.

– النداءُ: كقوله: «أيُّها الوَلَدُ»[1]، و هذا نداء من قريب و قوله: «يا فُلَانُ»[2]، و هذا نداء من بعيد.

2.2.4. الإنشاء غير الطلبي:

و هو «ما لا يستلزم مطلوباً حاصلاً وقت الطلب، و من هذا القسم الثاني: أفعال المقاربة، و أفعال التعجُّب و المدح و الذمّ، و صيغ العقود، و القَسَم(...)و نحو ذلك»[3]، و من ذلك: «كَمْ مِنْ عَقَبَةٍ كَئُود يَقْطَعُهَا إِلَى أَنْ يَصِل»[4] و هنا كم الخبرية و قوله: «لَا أَعْلَمُ مَا كَان البَاعِثُ فِيه»[5]، و ها هنا جاءت على نحو فعل تعجب.

5. الاستشهاد:

من السمات التي أضفت على نص الرسالة عنصر الجمالية، و هي سمة بارزة في الرسالة، لاحظنا أن الإمام الغزالي قد إستخدم الاستشهاد في كثيرٍ من فقرات النص، و الذي دعم بها نصه بالحجج و البراهين المؤكدة، و لا يمكن الجدال فيها، كيف لا! و قد استشهد بكتاب الله و بالحديث النبوي الشريف، كما لا يمكننا إغفال أنه استشهد بكتب أخرى ك: الإنجيل، و أقوال الصحابة عليهم السّلام و غير ذلك، و لكنّنا ركزنا على إحصاء الاستشهاد من القرآن و الحديث لطغيانهما على نص الرسالة.

و الاستشهاد لا يكون إلاّ إذا تم ذكر القائل(و هذا هو الفرق بينه و بين الإقتباس و التضمين)، كقولنا: قال الله تعالى، أو قال رسول الله و نحو ذلك.

و الآن سنقف عند عدد الاستشهادات في الرسالة من القرآن و السنة الشريفة(إحصاءها) و جاءت في الرسالة (و ذلك وفقاً لما جاء في كتاب الدراسات

---

[1]عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية–أيها الولد–، ج3، ص: 136.

[2]: المصدر نفسه، ص: 143.

[3]: عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص: 13.

[4]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية–أيها الولد–، ج3، ص: 139.

[5]: المصدر نفسه، ص: 141.

الأدبية، ج3 ل: عبد المالك السّليماني، عُمر الدّسوقي، محمد الصادق عفيفي "رسالة أيها الولد"):

- ❖ عدد الاستشهاد من القرآن الكريم: 11.
- ❖ عدد الاستشهاد من الحديث النبوي: 14.

لاحظنا أن نسبة الاستشهاد من الحديث الشريف أكثر من القرآن الكريم، و أغلب الظن يعود إلى قول الغزالي في أول رسالته: أن معدن النصيحة يكتب من معدن الرسالة، و يقصد هنا رسالة الحبيب صلّ الله عليه و سلم، و ما الحديث الشريف إلّا أحكام جاءت من وحي المصدر الأساس و هو القرآن، بل هو قرآن مجيد في لوحٍ محفوظ.

▪ثانياً: السّمات الإيقاعية:

تتميز رسالة "أيها الولد" بالجمال، و تمثل قمة الإبداع اللغوي لما تحويه من فصاحةٍ و بلاغةٍ، تتجلى في ألفاظها و تراكيبها، و جمالٍ ايقاعي موسيقيّ آسرٍ، و حسن ساحر.

و نعلم حقيقة أن الإيقاع يشكل خاصيةً مهمةً من خصائص التعبير الانفعالي، كما عُبر عنه: «هو حركة تموج و تدفق و انسياب(...)إذ يصدر عن إندفاع التأثيرات الصوتية للألفاظ، و تتابع النبرات و التقطيعات و الزخارف بتيار الوزن و القافية»[1].

و لقد لاحظتُ أن الشيخ الغزالي إستعان في كتابة رسالته بسمات إيقاعية حققت له التعادل الموسيقي، و التوافق النغمي بين الجمل و العبارات (التراكيب اللغوية)، أهمها و أكثرها شيوعاً في نص الرسالة نذكر: السجع، الإزدواج و التجنيس(الجناس) الطباق، التكرار و ضروب أخرى...

1. السجع:

من المحسنات البديعية اللفظية، يأتي في النثر كما القوافي في الشعر، و مما جاء

[1]: حسين العوادي، لغة الشعر الحديث في العراق، ص: 27.

في تعريفه: «هو تواطؤ(أي توافق) الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحدٍ»[1]، و الفاصلة هي الكلمة الأخيرة من القرينة أو الفقرة التي جعلت مزاوجة لأخرى[2].

و السجع حيلة لفظية قديمة، شغف بها الأدباء من الخطباء و الكُتّاب منذ عصور الأدب الأولى عند العرب، و قد ذهب بعض الباحثين إلى أن السجع من مميزات البلاغة الفطرية[3]، و السجع يحدث انسجاماً بين المتلقي و النص، و يشعره برغبةٍ لإستكمال قراءته.

و لقد لاحظتُ كثرته في رسالة "أيها الولد"، و هذا يدل على براعة الكاتب في صياغة أسجاعه، وإنه يختار المفردات العذبة و التأليف الفصيح، و إن لفظه كان تابعاً لمعناه، و من ذلك:

❁ قوله: «وَ الإِيْمَانُ قَوْلٌ بِلِسَانٍ، وَ تَصْدِيقٌ بِالْجِنَانِ، وَ عَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ»[4]، لقد رأينا هذا القول سجعاً حاصلاً في حرف النون(لسان، جنان، أركان)، أعطى جرساً موسيقياً جميلاً.

❁ و قوله: «العِلْمُ بِلَا عَمَلٍ جُنُونٌ، وَ العَمَلُ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَا يَكُون»[5]، يظهر السجع في الفقرة الآنفة الذكر في حرف النون(جنون، لا يكون)، أعطى جرساً جذب إنتباه السامع.

❁ و قوله في موضعٍ آخر: «تَهُبُّ بالأسْحَارِ، تَحْمِلُ الأَذكَار»[6]، السجع حاصل في حرف الراء(بالأسحار، الأذكار) فحرف الراء أعطى للفقرة لمسة إيقاعيةً تُطرب النفس.

---

[1]: ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، ج1، ص: 193.

[2]: ينظر: عائشة حسين فريد، وشي الربيع بألوان البديع في ضوء الأساليب العربية، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، د.ط، 2000، ص: 202.

[3]: ينظر: زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، دار الجيل، بيروت، د.ط، 1975، ج1، ص: 75-76.

[4]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية-أيها الولد-، ج3، ص: 139.

[5]: المصدر نفسه، ص: 142.

[6]: المصدر نفسه، ص: 144.

2. الإزدواج:

من الحلي البديعية اللفظية، و التي تُكْسِبُ النص الأدبي إيقاعًا بهياً مشرقًا، و مما جاء في تعريفه: هو«تجانس اللفظين المتجاورين»[1]، و هو«أن يراعي الأديب أو منشئ الرسالة الوزن، أو التقابل الإيقاعي في جميع كلمات القرينتين، أو في أكثرها، و هو أحسنها، و أعلاها»[2].

و قد أولى علماء البلاغة القدامى للازدواج منزلة كبيرة في منثور الكلام، فأبو هلال العسكري(ت 395ه) يؤكد على أهمية الازدواج يقول: «لا يحسُن منثور الكلام و لا يحلو حتى يكون مزدوجاً، و لا تكاد تجد بليغ كلام يخلو من الإزدواج»[3].

و من ذلك ما جاء في رسالة "أيها الولد":

❁ قوله: «طَاحَتْ تِلْكَ العِبَاراتْ، وَ فَنِيَتْ تِلْكَ الإشَارَاتْ»[4]، لاحظنا وجود تقابلٍ نغمي

نغمي

بين الألفاظ مما زاد تركيب الفقرة إيقاعاً سمْحاً.

❁ قوله: «مِنَ الأَعْمَالِ مُفْلِساً، وَ لَا مِنَ الأَحْوَالِ خَالِياً»[5]، لاحظنا وجود تقابلٍ بين (الأعمال و الأحوال) و (مفلسا و خاليا) جاءت في تناسب و موسيقى و إيقاع جميل.

❁ و قوله: «وَ مِنَ الإحْسَانِ أَتَمَّهُ، وَ مِنَ الإنعَامِ أَعَمَّهُ»[6]، جاء التقابل هنا في

---

[1]: السيّد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع، ضبط و تدقيق و توثيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا–بيروت–، دط، دت، ص: 330.

[2]: غانم جواد رضا الحسن، الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع للهجرة، ص: 399.

[3]: أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص: 266–267.

[4]: عبد المالك السّليماني، و آخرون ، الدراسات الأدبية–أيها الولد–، ج3، ص: 137.

[5]: عبد المصدر نفسه، ص: 137–138.

[6]: المصدر نفسه، ص: 162.

قوله(الإحسان و الإنعام) و لفظة (أتمه و أعمه) حيث لاحظنا تقابل ألفاظ القرائن في الوزن مع تماثُلٍ لأواخر الفصول، مما أضفى على موسيقى تراكيبه قدراً أوفى من الإيقاع و روعة النغم.

3. التجنيس*:

من حلي البديع اللفظية المهمة، يحقق التوافق النغمي و الموسيقي بين التراكيب اللغوية، فتأتي في انسجامٍ هو سر الجمال في هذا اللون البديعي.

جاء في كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري(ت395ه): «أن يورد المتكلم(...)كلمتين تجانس كل واحدة منهما صاحبتها في تأليف حروفها»[1]، و يقول ابن الأثير(ت637ه) في كتابه المثل السائر: «سمي هذا النوع من الكلام مجانساً لأن حروف ألفاظه يكون تركيبها من جنس واحدٍ»[2].

و لقد أولى النقاد القدامى و حتى المحدثين(أنظر دراسة لدكتور أحمد مطلوب في كتابه المعنون: فنون بلاغية) أهمية هذا النوع من البديع، يقول الجرجاني(ت471ه): «فإنّك لا تجد تجنيساً مقبولاً و لا سجعاً حسناً حتى يكون المعنى هو الذي طلبه و استدعاه، و ساق نحوه، و حتى تجده لا يبتغي به بدلاً، و لا تجد عنه حولاً، و من هنا كان أحلى تجنيس تسمعه و أعلاه و أحقه بالحسن و أولاه، ما وقع من غير قصدٍ من المتكلم إلى إجتلاب و تأهبٍ لطلبه، أو ما هو لحسن ملاءمته-و إن مطلوباً- بهذه المنزلة»[3].

---

[1]: أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص: 330-331.

*: «أطلق عليه الناقد قدامة بن جعفر(ت: 337ه) اسم مجانس، و جعل المطابق و المجانس من صفات الشعر(...)، و سماه ابن رشيق القيرواني(ت: 456ه) التجنيس: و جعله ضروباً كثيرة(...، و ممن فصل القول فيه أبو هلال العسكري(ت: 395ه) في كتابه الصناعتين»، ينظر كتاب الرسائل الأدبية النثرية لغانم جواد رضا الحسن(ص: 407).

[1]: عبد القاهر بن عبد الرحمان الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق: هـ.ريتر، مطبعة وزارة المعارف، استانبول، د.ط، 1954، ص: 1.

[2]: ابن الأثير، المثل السائر، ج1، ص: 246.

[3]: عبد القاهر بن عبد الرحمان الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق: هـ.ريتر، مطبعة وزارة المعارف، استانبول، د.ط، 1954، ص: 1.

و هو قسمان جناس تام و جناس غير تام(ناقص).

1.3. الجناس التام:

و هو «ما إتفق فيه اللفظان المتجانسان في أربعة أشياء: نوع الحروف، و عددها و هيئاتها و ترتيبها مع اختلاف المعنى»[1]، و من ذلك ما جاء في رسالة "أيها الولد":

❁ قوله: «فَخَلَفَ من بعْدِهم خَلْفٌ»[2].

بمعنى: جاء بمعنى: قومٌ

2.3. الجناس غير التام(الناقص):

و هو «ما إختلف فيه اللفظان في واحد من نوع الحروف أو عددها أو هيئتها أو ترتيبها»[3]، و من ذلك ما جاء في رسالة "أيها الولد":

❁ قوله: «فَلَا تَأْمَنْ انْتِقَالَكَ مِنْ زَاوِيَةِ الدَّارِ إلَى هَاوِيَةِ النَّارِ»[4].

بمعنى:حافة الحياة الدنيا بمعنى: نار قد حميت من الوقود عليها

و بذا نرى أن التجنيس في رسالة "أيها الولد" أضفى تناغماً جميلاً و إيقاعاً مناسباً على موسيقى جمل و تراكيب نص الرسالة، حيث أضحى أقرب إلى سمات الشعر و عذوبته و موسيقاه.

---

[1]: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، دار إحياء التراث، بيروت، ط12، د.ت، ص: 396.

[2]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية–أيها الولد–، ج3، ص: 139.

[3]: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص: 397.

[4]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية–أيها الولد–، ج3، ص: 143.

4. الطباق أو التضاد:

من حلي البديع المعنوية و هو: «الجمع بين الشيء و ضدّه»[1]، أو «الجمع بين لفظين متقابلين في المعنى»[2].

و لقد عنى كتاب الرسائل بهذا اللون البديعي كثيراً و ذلك لتجميل المعنى و تحسينه، فضلاً عن ذلك قوة دلالته و شدة تأثيره في المتلقي، فهو يجمع بين المعنيين المتضادين في الكلام ليوضح المعنى العام للفكرة المراد إيصالها.

يقول الشاعر:

«ضدَّانِ لِمَّا اسْتُجْمِعَا حُسْناً وَ الضِدُّ يَظْهَرُ حُسْنُهُ الضِّدُّ»[3].

و عند إستقرائي لنص رسالة "أيها الولد"، لاحظتُ أنه لا تكاد تخلو فقرة من فقراته من هذا اللون البديعي، مما زاده حسناً و جمالاً، فضلاً عما حققه من جلاءٍ للفكرة و إيضاحٍ للمعنى.

و هو قسمان:

1.4. طباق الإيجاب:

و هو «أن يكون المعنيان المتضادان أو المتقابلان غير مختلفين في الإيجاب أو السلب، و ذلك بأن يكونا موجبين معاً أو سالبين(أي منفيين معاً)»[4]، و من هذا القسم ما جاء في الرسالة قوله:

❁ «وَ كَأَنَ عِلْمَ الأَوَلينَ و الآخرينَ»[5]،و التضاد جاء في (الأولين و الآخرين)، و في

---

[1]: أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص: 339.

[2]: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص: 366.

[3]: غانم جواد رضا الحسن، الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع للهجرة، ص: 425.

[4]: عائشة حسين فريد، وشي الربيع بألوان البديع في ضوء الأساليب العربية، ص: 24.

[5]: عبد المالك السّليماني، الدراسات الأدبية–أيها الولد–، ج3، ص: 147.

القول تأكيد و تعميم على: لو اجتمع علم الأولين و الآخرين لكتفوا بحديث لرسول الله صلّ الله عليه و سلّم ذكره الغزالي في الرسالة...

❁ و قوله: «يَنْبَغِي أَن يَحْتَرِمَهُ ظَاهِراً و بَاطِناً»[1]، و التضاد جاء في (ظاهراً و باطناً)، و هنا يؤكد للولد على وجوب احترام الشيخ (المعلم) ظاهراً و باطناً.

❁ و قوله: «و عَلى كُل حَال يَخْتَارُ الفَقْر عَلى الغِنَى»[2]، و التضاد جاء في (الفقر و الغنى)، هنا يُحمله على اختيار الفقر على الغنى.

❁ و قوله: «أَنْ تَدْعُو النَّاسَ مِنَ الدُنْيَا إِلَى الآخِرَة»[3]، و التضاد جاء في(الدنيا و الآخرة)، و هنا يوصيه بترك الدنيا و أن يجعل همته و عزمه في حثِّ الناس للآخرة.

2.4. طباق السلب:

و هو «و هو ما كان فيه أحد أطراف الضدّ مثبتاً و الآخر منفياً أو أحدهما أمر و الآخر نهي»[4]، و من هذا القسم ما جاء في الرسالة قوله:

❁ «وَ حُسْنُ الخُلُقِ مَعَ النَّاس أَلَّا تَحْمِلَ النَّاسَ عَلَى مُرَادِ نَفْسِكَ، بَلْ تَحْمِلُ نَفْسَكَ عَلَى مُرَادِهِم»[5]، و تضاد السلب جاء في (ألا تحمل بل تحمل).

❁ و قوله: «يَقْبَلُ العِلاج وَ البَاقِي لا يَقْبَلُه»[6]، و تضاد السلب جاء في(يقبل و لا يقبله).

---

[1]: عبد المالك السّليماني، الدراسات الأدبية-أيها الولد-، ج3، ص: 151.

[2]: المصدر نفسه، ص: 152.

[3]: المصدر نفسه، ص: 159.

[4]: عائشة حسين فريد، وشي الربيع بألوان البديع في ضوء الأساليب العربية، ص: 25.

[5]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية-أيها الولد-، ج3، ص: 153.

[6]: المصدر نفسه، ص: 155.

❁ و قوله: «اللَّهُمَ كُن لَنَا وَ لا تَكُن عَلَيْنَا»[1]، و تضاد السلب جاء في (كن و لا تكن).

و من كل ما تقدم من أمثلةٍ أبرزت لنا دور الطباق في إكساب المعنى وضوحاً و قوةً و جزالةً، حيث أنه جمع لنا بين المتضادين(سلب و الإيجاب) في شكلٍ لطيفٍ بعيد عن التكلف، فضلاً عما حملته هذه المتضادات من جرسٍ موسيقيٍّ جميل شدَّ الانتباه.

5. التَّكرارُ:

لقد عمد كثير من كتاب الرسائل إلى أسلوب التَّكرار في ترسلهم و مكاتباتهم الأدبية و التكرار هو: «أسلوب أدبي شائع(...)، و الذي يمكن أن يثري المعنى و يغنيه و يرفعه إلى أعلى درجات التأثير و الإمتاع و الأصالة»[2].

و للتَّكرار دور مهم في كتابة الأعمال الأدبية و بخاصةٍ الرسائل، ذلك أنه يحقق إيضاحاً للمعنى–ضرورة ارتباط اللفظ المكرر بالمعنى العام للنص– و جلاء الفكرة، فضلاً عن ذلك يضفي التكرار على النص الرسائلي ظلالاً من الجمال و البهجة و التأثير...

كثيراً ما كان كتاب الرسائل في العصر العباسي يعمدون في ترسلهم و مكاتباتهم الأدبية إلى ضروب من التكرار، فيرددون كلمةً بعينها، أو قد يكرّرون جملةً، أو أسلوباً معيناً، و قد ينصبُّ التكرار حيناً على حرفٍ معين[3].

ومن ضروب التكرار التي جاءت في رسالة "أيها الولد" ، على سبيل الذكر لا الحصر الآتي:

– تكرار الكلمة: نجد تكراراً في لفظة "العلم" في كثير من فقرات النص كقوله: «لِمَنْ كَان طَالبَ العلمِ(...)، فإنَهُ يَحْسَبُ أَنَ العِلْمَ(...)، لا يعْلَمُ هَذَا المَغْرُورُ أنه قَدْ حَصَّلَ

[1]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية–أيها الولد–، ج3، ص: 162.

[2]: غانم جواد رضا الحسن، الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع للهجرة، ص: 437.

[3]: ينظر: غانم جواد رضا الحسن، الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع للهجرة ، ص: 437.

العِلْمَ »[1]، كما تكررت لفظة العمل في كثيرٍ من المواضع كقوله: «وَ لَمْ يَعْمَلْ بِهَا، لَا تُفِيدُهُ إلّاَ بالعَمَل»[2]، و قوله: «عَلَامَةُ الحَقِيقَة تَركُ مُلَاحَظَةِ العَمَل لَا تَركُ العَمَل»[3]، فتكرار هاتين اللفظتين دليل على قيمة العلم و العمل في نفس الشيخ و في التربية السلوكية للمجتمع عامةً.

-تكرار الجملة(أو الأساليب): كقوله: أيُهَا الوَلدُ، لاحظنا أن الشيخ الغزالي رحمه الله

قد كرر هذه الجملة في كثير من فقرات الرسالة، و لنقل أنه كلما أراد القول بوصية جديدة ذكر جملة "أيُها الوَلَدُ" و هذه الجملة تعتبر جزءً حيوياً من الهندسة العاطفية للتركيب اللغوي، بحيث تحملُ الولد على الانتباه(انتبه لما سيأتي من الوصية)، كما أنها زادت المعنى وضوحاً، و الفكرة تثبيتاً و تأكيداً، و الأسلوب طلاوةً.

- تكرار الأسلوب: أسلوب النهي: نلحظ أنه تكرار هذا الأسلوب كثيراً في قوله: «إِيَاكَ

إِيَاكَ أَن تَصِلَ إِلَيْهِمْ بِلَا زَادٍ»[4]، هنا حصل التكرار في لفظة إياك و هاته الفظة تعني التحذير و تكرارها يؤكد على تحذيرٍ شديد، و قوله في موضعٍ آخر: «وَ إِيَاكَ إِيَاكَ أَنْ يَخْدَعَكَ إِسْتِهْوَاءُ الشَيَاطِين»[5] و في تكرار لفظة إياك "الثانية" دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ و أشد.

وجود التَّكرار في الرسالة لم يكن عبثاً، و لم يبعث الملل و النفور في نفس القارئ، بل جاء طبيعياً إرتبط إرتباطاً وثيقاً ببناء الرسالة، حتى غدى في كثيرٍ من مواطنها شيء لازم، و مظهر من مظاهر التأثير في المعنى، إلى جانب أثره في تقوية النغم من خلال إيقاع الصوت الذي خلفه تَّكرارُ جرسِ الحروف و الكلمات، بحيث أظهر لنا القيمة الفكرية و النفسية التي يعبر عنها الشيخ أبو حامد الغزالي من خلال عنايته بتَّكرار لفظةٍ معينةٍ أو مقطعٍ معين.

---

[1]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية-أيها الولد-، ج3، ص: 137.

[2]: المصدر نفسه، ص: 138.

[3]: المصدر نفسه، ص: 140.

[4]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية-أيها الولد-، ج3، ص: 142.

[5]: المصدر نفسه، ص: 160.

و بذا يتضح لنا أن التَّكرار يعتبر نمطاً صوتياً إيقاعياً خفياً ساعد في تلاحم بناء الرسالة و إرتباطها، و إتضح لنا "أيضاً" أن هذا اللون البديعي(التَّكرار) باب واسعٌ في رسالة "أيها الولد" و هو يكشف بجلاءٍ عن إحساس الشيخ الغزالي بفنه، إحساساً يجعله يتوخّى مواطن الجمال التي تضفي على أساليبه القوة و التأثير في النفس[1].

إتضح لنا مما ذكر آنفاً أن الشيخ الغزالي رحمه الله تعالى قد تفنن و أجاد في إستخدام الحلي البديعة بما خدم نص الرسالة، و أظهر براعةً في تطويع اللغة و إظهار الجرس الموسيقي، و إعطاء سمة ايقاعية لها.

- **ثالثاً: السّمات التصويرية:**

يعد التصوير الفنّي من أهم الألوان التعبيرية في كتابة الأعمال الأدبية. و هو أول خطوة في خلق الصور أن يقرنَّ الكاتب نفسه إلى الأشياء التي تستهوي حواسّه[2]، في محاولةٍ لإعادة تشكيل الواقع و تقديمه في هيئةٍ جديدة تختلف عن أساسها المادي المألوف[3] ، يقول عبد القاهر الجرجاني في اسرار البلاغة، معبراً عن مفهوم الصورة و قيمتها في النص الأدبي:

يقول : «أنك ترى الجماد ناطقاً، و الأعجم فصيحاً، و الأجسام الخرس مبينة، و المعاني الخفية باديةً جليةً، و إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقول كأنها جُسِّمت حتى رأتها العيون»[4].

و لدى استقرائنا لرسالة "أيها الولد" لاحظتُ أنها تزخر بألوان تعبيرية متعددة، تنخرط في جو دلالي يدفع القارئ للغوص في ما وراء المعنى، فعلى الرغم من قرب الموضوع إلى الواقع بصفته موضوعاً إنسانياً و هو التربية، إلاّ أن الشيخ الغزالي رسمهُ بما توحيه

[1]: ينظر، غانم جواد رضا الحسن، الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع للهجرة، ص: 441.

[2]: ينظر: سيسيل دي لويس، الصورة الشعرية، ترجمة: أحمد نصيف الجنابي، راجعه: عنان غزوان إسماعيل، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1982، ص: 76.

[3]: ينظر: غانم جواد رضا الحسن، الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع للهجرة، ص: 460.

[4]: عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص: 41.

إليه مُخيلته من أبعاد خيالية متنوعة، مثل فيها المعاني المجردة تمثيلاً حسّياً دقيقاً و مُبتكراً.

و من أهم السمات التصويرية التي استعان بها الغزالي في رسم صوره و تجسيد أفكاره:

1. التشبيه:

و جاء في تعريفه: «التشبيه من أشرف كلام العرب، و فيه تكون الفطنة و البراعة عندهم، و كلما كان المشبّه منهم في تشبيهه ألطف، كان بالشعر أعرف، و كلما كان المعنى أسبق، كان بالحذق أليق»[1]، و جاء في كتاب البلاغة الواضحة في تعريف للشبيه:

«بَيَانُ أَنَّ شَيْئاً أَوْ أَشْيَاءَ شَارَكَتْ غَيْرَهَا فِي صِفَةٍ أَوْ أَكْثَرَ، بأَداةٍ هِي الكَاف أَوْ نَحْوُهَا مَلْفُوظَةٍ أَوْ مَلْحُوظَةً»[2](مقدّرة)، و أركان التشبيه أربع هي: المُشَبَّهُ، المُشَبَّهُ به، و هما طرفي التَّشبيه، و أداة التشبيه، و وجه الشبه.

و قد تحدث عنه أبو هلال العسكري قائلاً: «و التشبيه يزيد المعنى وضوحاً، و يكسبه تأكيداً، و لهذا أطبق جميع المتكلمين من العرب و العُجم عليه، و لم يستغن أحد منهم عنه»[3]، لما لو دورٌ في استثارة المتلقي و إمتاعه.

و من ذلك ما ورد في رسالة "أيها الولد":

❋ في قوله: «هذه الأَجْسَادُ قَفَصُ»[4]، شبه الأجساد بالقفص، فالجسد يحوي الروح، و

المشَبَّهُ المُشبَّهُ به (حذف الآداة و وجه الشبه)

[1]: قدامة بن جعفر، البرهان، تحقيق: طه حسين و عبد الحميد العبادين، مطبعة مصر، القاهرة، 1938، ص: 58.

[2]: علي الجارم، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص: 20.

[3]: أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص: 249.

[4]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية–أيها الولد–، ج3، ص: 142.

القفص يحوي الطير.إن الجسد و القفص يشتركان في صفة الحماية و الإحتواء، هذه الحماية الوقتية الزائلة، إذاً هذا تشبيه بليغ عمد المتكلم فيه إلى المبالغة في إدعاء أن الأجساد هي الأقفاص نفسها.

❁ و أيضاً: «أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ»[1]، شبه الله جلّ جلاله الضالين الغافلين، في قوله

آداة التشبيه مشبّه به (حذف وجه الشبه و ذكر المشبه مقدراً)

أولئك شبههم بالأنعام لإشتراكهما في علّة أنهم لا يفقهون ما يقال، الأنعام: لا تفقه ما يقال لها، و لا تفهم ما تبصره، و لا تعقل بقلوبها الخير و الشر فتميز بينهما.

هكذا و من خلال صور التشبيه الآنفة الذكر، رأينا أنها أضفت روعةً و جمالاً حسناً في الكلام، إذ إن ذاك التحويل الحاصل في الألفاظ من دلالتها الوضعية(المعجمية) إلى دلالاتٍ خطابيةٍ جديدةٍ، زاد المعنى رفعةً و وضوحاً و شرفاً و جمالاً...

2. الإستعارة:

الإستعارة ضرب من ضروب المجاز اللّغويّ، و هي عن عند أبي هلال العسكري: «نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض»[2]، و مما جاء في تعريفها في كتاب البلاغة الواضحة: «وَ هِيَ تَشْبِيهٌ حُذِفَ أَحَدُ طَرَفَيْهِ فَعَلَاقَتُهُمَا المُشَابَهَةُ دَائِماً، وَ هِيَ قِسْمَانِ: – تَصْرِيحِيَّة: وَ هِيَ مَا صُرِّحَ فِيهَا بِلَفْظِ المُشَبَّه به، و – مكنِيَّة: وَ هِي مَا حُذِفَ فِيهَا المُشَبَّهُ بِه وَ رُمِزَ لَهُ بِشَيءٍ مِنْ لَوَازِمِهِ»[3]، و للاستعارة مقاصد بلاغية نوه إليها العسكري في

كتاب الصناعتين و هي أربع: «شرح المعنى و الإبانة عنه، و تأكيده و المبالغة فيه، و الإيجاز، و أخيراً تحسين المعرض الذي تبرز فيه المعاني»[4].

---

[1]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية–أيها الولد–، ج3، ص: 143.

[2]: أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص: 274.

[3]: علي الجارم، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص: 77.

[4]: أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص: 274–275.

و الآن سنذكر بعضاً مما جاء في الرسالة من صور الاستعارة:

❋ تصريحيّة في قوله: «صَحْنَ قَلْبِه»[1]: صُرح فيها بلفظ المشبّه به و هو الصحن الذي هو وسط القلب (مركزه)، و هو متعلقٌ بقوله ليقْصر أي لينزع و يزيل عنه صحبة السوء التي تأثر في أعماله.

❋ مكنيّة: «بُني الإسلام»[2]، شُبه الاسلام ببناء له أركان، فكما أن البناء و وجوده يحتاج إلى دعامةٍ و أركان، بحيث لو أزيل واحدٌ منها لإنتفت ماهية البناء، فكذا الاسلام.

نلحظ من خلال ما سبق إستعانة الكاتب بأسلوب الاستعارة، حيث برع في تجسيد كثيرٍ من المعاني الذهنية و الأفكار المجرّدة، و صاغها في صورٍ حسّية بأسلوبٍ بلغ الغاية في الفن و جمال الأداء...

3. الكناية أو الإرداف:

إحدى فنون التعبير الفنّي التي تضفي على الكلام جمالاً و تشويقاً، و تزيده جلاءً و وضوحاً، و مما جاء في تعريفها: «الكِنايَة لَفْظٌ أُطْلِقَ وَ أُرِيد بِه لازمُ مَعْنَاهُ مَعَ جَوَازِ إِرَادَةِ ذلك المعنَى. تَنْقَسِمُ الكِنايَةُ باعتبَار المكنّي عَنه ثلاثة أقسَامٍ، فإِنَّ المُكنَّى عنه قد يكونُ صِفَةً، و قد يكون موصوفاً، و قد يكون نِسبة»[3]، و هي وسيلة من وسائل الإيضاح و المبالغة و تأكيد المعنى بصورةٍ تزيده جلاءً و تشويقاً، و تشحذُ انتباه المتلقي ترقُباً، و تزيدُ في جمال المشهد ضلالاً جديدةً...، و مما جاء في رسالة "أيها الولد" من صور الكناية:

❋ «رَحمَةُ اللَّه قَرِيبٌ مِنَ المُحْسِنِينَ»[4]: يعني أن رحمته جلّ في علاه إنّما هي قريب من المحسنين بالطاعة و العبادة، فالظاهر أن القرب كناية عن الوصول.

---

[1]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية-أيها الولد-، ج3، ص: 152.

[2]: المصدر نفسه، ص: 139.

[3]: علي الجارم، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص: 123.

[4]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية-أيها الولد-، ج3، ص: 139.

❋ و في قوله: «و لَو قَرَأتَ العِلْمَ مَائَةَ سَنَةٍ»[1]: يعني لو أنك أيها الولد أكثرت من القراءة بل ضَلَلْتَ تقرأ العلم مائة سنة فلن ينفعك إلا إذا عملت به، و هنا كناية عن الكثرة.

❋ و في قوله: «فَهُو إذاً نُورٌ مِنْ أَنْوَارِ النَبيّ صَلَّ اللهُ عَلَيهِ وَ سَلّم»: يعني لو إجتمعت هذه الصفات(التي ذكرت آنفاً) في الشيخ المُربي، ما كانت إلا نتاج التعاليم الحميدة السامية التي تركها لنا الحبيب المصطفى صَلَّ اللهُ عَلَيهِ وَ سَلّم فانعكست في نفس الشيخ، و في هذا كناية عن صفة حميدة في خلق الصادق الأمين صَلَّ اللهُ عَلَيهِ وَ سَلّم.

لاحظتُ في التعابير الفنّية –السالفة الذكر– قدراً لا يخفى من الإيجاز و جمال التصوير و التي أضفت على المعاني إشراقاً و وضوحاً، و كل ذا من عبقِ تعابير الكناية.

و في هذا الجانب، استوقفني كباحثةٍ متأملة في رسالة "أيها الولد" تميزّ ألفاظها بالإيحاء فضلاً عما تميزت به تراكيبها من تماسكٍ و تلاحمٍ تفاوت بين السلاسة و الجزالة و الوضوح و الغرابة، وصولاً إلى الإحاطة بجوهر الموقف و التعبير عن التجربة الإبداعية بصدقٍ و فعالية ما زاد النص جمالاً أخاذاً.

و في آخر فصول هذه القراءة لجماليّة السمات البنائية لرسالة "أيها الولد" تجدر الإشارة إلا نقطة استوقفتنا عند التبحر في نصها، و هي "جمالية المماثلة في أسلوبية بناء الرسالة"، حيث لاحظنا أن الشيخ الغزالي –رحمه الله– إستحضر من سورة لقمان الحكيم كثيراً من الصور، و نسج على أمشاجها نصه(ماثل)، و قد بدت الرسالة كأنها تمزج بين رؤيتين و المناظرة بين أحداث موقفين متشابهين، فحوار لقمان مع ابنه و ما يحمله من مواقف و عظات و رمزية عالية في ذهن المتلقي، و وصايا الشيخ الغزالي للولد و ما

[1]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية–أيها الولد–، ج3، ص: 138.

تحمله من صفات تزكي النفس و تحملها على الطهارة و الخلق الحسن، تؤكد لنا حضور المماثلة في رسالة "أيها الولد".

و على هذا النحو فقد تحوّلت الرسالة إلى خطابٍ بلاغي جماليّ تواصلي، يهدف إلى توصيل جملةٍ من المقاصد التي تثقف التلميذ(الولد)، و تسهم في بناء الأخلاق، و ترسخ القيم التربوية بأسلوبٍ حوا من خصائص العربية و دقائقها الجمالية الشيء الكثير...

خاتمة

خاتمة:

لقد أفضت هذه الدراسة إلى جُملةٍ من النتائج يمكن إجمالها في الآتي:

– بلغ النثر الفنّي في العصر العباسي شأوًا واسعاً، و كان فنّاً عاكساً لمظاهر الحياة في ذاك الزمان.

– فنّ الرسالة جنس من أجناس النثر الأدبي، ذاع صيتهُ و لاق رواجاً كبيراً بين جهابذة الكُتَّاب و بُلغاء ذلك العصر، حيث وجدوا فيه ملاذاً للتعبير عن التجربة الإنسانية بطريقةٍ جمالية، لتصل إلى النفوس فتُأثر فيها أيما تأثير.

– تعتبر رسالة "أيها الولد" لأبي حامد الغزالي دستوراً قيماً حوى نصائح و إرشاداتٍ مُوجهة للتلميذ(الولد)، الغاية منها تعديل السلوك في الطريق إلى الله جلّ في علاه، من خلال تطبيق المبادئ و القيم التربوية التي جاء بها الكتاب و السنة النبوية.

– لقد جسد لنا الشيخ حجة الاسلام الغزالي "الجمال" في أبهى صورةٍ من خلال نص الرسالة الذي يَلَذُّ الآذان حين تستمعُ إليه كما يَلَذُّ العقول.

–رسالة "أيها الولد" لأبي حامد الغزالي أنموذجٌ يمثل صرحاً جمالياً حسنَ التأليف، جيّدَ المقاطع، عذب البيان، منسجماً و متكامل في لفظه و معناه، فيه من البساطة السائغة الأخاذة الشيء الكثير...

– رأينا فيها عمقاً في الأفكار و براعةً في التحليل و الاستنتاج.

– رأينا براعةً في التعبير عن الخواطر غير متصنعة، و خصوصاً في صدق الشعور

خاتمة:

المُترقرق دون توثب و لا اصطخاب، في إيقاعٍ سلسٍ ، ينقلُ إلى الآذان و القلوب عاطفةً إنسانية عميقةً تتضجُ بها نفسُ المُعلِّم المُربي، فبدت قريبةً إلى كل نفسٍ في كل عصرٍ و مصر.

– إلتمس الشيخ من الألفاظ ما لم يَكُن متوَّعِراً وحشياً و لا ساقطاً سوقيّاً(جاءت سهلة مأنوسة).

– و كذا من أهم النتائج التي لوحظت في رسالة "أيها الولد"، طغيان الاستشهاد و الاقتباس من القرآن و السنة النبوية، و هذا لم يكن عبثاً لأنه جاء ملائماً للموضوع المُعبَّرِ عنه، ما أضفى رونقاً و جمالاً أخاذاً على النص.

– اتخذ الغزالي لنفسه أصولاً بيانية و صوراً براقة شاع فيها الرونق و الجمال(كالتشبيه و الإستعارة و الكناية).

و مع خاتمة هذا المطاف، نستطيع أن نؤكد أن رسالة "أيها الولد" لحجة الاسلام الغزالي خيرُ شاهدٍ على حضور الجمالية في النص الرسائلي العباسي، هذه الجمالية التي ألقت بضلالها في أرواحنا على رغم بُعد الزمان، فهي من الروعة في أسمى مكان، و لا عجب بعد هذا كلّه إذا قلنا أن رسالة أيُّها الولد"ثروة فكرية" أظهرت في طياتها سمات فنيّة كثيرة الجمال، لم نحصيها كلها لضيق المقام عن ذكرها، و التي نأمل أن توجه عناية الدارسين لها، فهي بحقٍ رسالة تحتاج إلى العديد من الدراسات التي توفيها حقها و تبرزُ دُرَرها.

و في الختام أرجو أن أكون قد وُفِقتُ بقصدي، فإن أصبتُ فمن الله و إن أخطأتُ فمن نفسي و جلّ من لا يُخطئ "و الله أعلم"، و ما توفيقي إلّا بالله و الحمد لله ربِّ العالمين.

قائمة المصادر و

المراجع

❋ **القرآن الكريم**: المصحف الإلكتروني(برواية ورش عن نافع).

❋ **الأحاديث النبوية**

1. الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجّاج القشيري النيسابوري(ت261ه)، بشرح النووي للإمام يحي بن شرف النّووي الدّمشقي الشافعي(ت 688ه)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الجزء الأول، دار الكتب العلمية، بيروت، 2017.

2. محي الدين أبي زكريا يحي بن شرف النّووي الدّمشقي، الأذكار النّوويّة، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت.

أولاً: المصادر

3. أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1986.

4. أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده، القاهرة، د.ط، 1938، ج4.

5.أرسطاطاليس، الخطابة، ترجمة: عبد الرحمان بدوي، دار الرشيد للنشر، العراق(بغداد)، د.ط، 1980.

6. جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ط2، 1951، ج1.

7. أبو حامد الغزالي، أيها الولد، تشرفت بخدمته و العناية به: اللجنة العلمية بمركز المنهاج للدراسات و التحقيق العلمي، دار المنهاج، لبنان، ط2، 2014.

8. أبو حامد الغزالي، الجواهر الغوالي من رسائل الإمام حجة الإسلام الغزالي، تحقيق:محي الدين صبري الكردي، مطبعة كردستان العلمية، القاهرة، ط1، 1910.

9. أبو العباس أحمد القلقشندى، صبح الأعشى في كتابة الإنشاء، دار الكتب المصرية بالقاهرة، د.ط، 1922، ج1.

10. أبو العباس أحمد القلقشندى، صبح الأعشى في كتابة الإنشاء، دار الكتب المصرية بالقاهرة، د.ط، 1922، ج6.

11. أبو عثمان الجاحظ، البيان و التبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطبعة المدني، القاهرة، ط1، 1985.

12. علي الجارم، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة(البيان، المعاني، البديع)، دار المعارف، مصر، د.ط، 1999.

13. عَبد المَالك السّليماني، عُمَر الدّسوقي، محمد الصادق عفيفي، الدراساتُ الأدبية(حي بن يقظان–أيها الولد–رسائل إخوان الصفاء)، دار الفكر، ط1، 1962، بيروت، ج3.

14. أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر و آدابه، تقديم و شرح: صلاح الدين الهواري و هدى عودة، مكتبة الهلال للطباعة و النشر، بيروت، ط1، 1996، ج1.

15. أبو الفتح ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1939، ج1.

16. فخر الدين الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق: إبراهيم السامرائي و محمد بركات حمدي أبو علي، دار الفكر للنشر، عمان، د.ط، 1985.

17. عبد القاهر بن عبد الرحمان الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق: هـ.ريتر، مطبعة وزارة المعارف، استانبول، د.ط، 1954.

18. قدامة بن جعفر، البرهان، تحقيق: طه حسين و عبد الحميد العبادين، مطبعة مصر، القاهرة، 1938.

19. أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، تفسير الإمام الشافعي، جمعه و حققه: مجدي بن منصور بن سيّد الشّوري، دار الكتب العلمية، بيروت.

20. محمد أعلى بن علي التهانوي، كشاف إصطلاحات الفنون، طبعه: شيائك سوسيتي آف بنكال، تصحيح: محمد وحيه- عبد الحق- و غلام قادر و بإهتمام: الويس أسيرنكر التيرولي و وليم ناسوليس الإيرلندي، كلكته، الهند، المجلد الأول.

21. محمود مصطفى، الأدب العربي و تاريخه في العصر العباسي، مطبعة مصطفى الحلبي و أولاده، مصر، ط2، 1937، ج2.

22. أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، الصناعتين الكتابة و الشعر، تحقيق: محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي و شركاه، القاهرة، ط1، 1952.

23. يسري عبد الغني، ديوان قيس بن الملوح(مجنون ليلي) برواية أبي بكر الوالبي، دار الكتب العلمية، لبنان، د.ط، 1971.

ثانيا: المراجع

24. أبو حامد الغزالي، أيها الولد، تحقيق: علي محي الدين علي القره داغي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط4، 1431هـ-2010م.

25. إحسان النص- خليل الهنداوي- عمر يحي، الرائد في الأدب العربي، المطبعة الهاشمية بدمشق، ط1، د.ت.

26. أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، دار إحياء التراث، بيروت، ط12، د.ت.

27. أحمد فؤاد الأهواني، سيرة الغزالي و أقوال المتقدمين فيه، تحقيق: عبد الكريم العثمان، دار الفكر، دمشق، 1993.

28. جبور عبد النّور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1972.

حجة الإسلام أبي حامد الغزالي، أيها الولد، إعتنى به و حققه: أبو سهل نجاح عوض صيام، دار المقطم، مصر، 2009.

29. حسين بيوض، الرسائل السياسية في العصر العباسي الأول، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، د.ط، د.ت.

30. حسين غالب، بيان العرب الجديد، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1971.

31. حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، المطبعة البولسية، بيروت، ط2، 1953.

32. حنا الفاخوري، في الأدب العربي و تاريخه، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، 1991.

33. حنا الفاخوري، منتخبات من الأدب العربي، منشورات المكتبة البولسّية، بيروت، ط5، 1970.

34. عبد الدّايم أبو العطا البقري، إعترافات الغزالي، دار الكتب الأهلية، القاهرة، 1943.

35. عبد الرحمان بدوي، مؤلفات الغزالي، دار القلم، بيروت، ط2، 1977.

36. رولان بارت، لذة النص، تر: فؤاد صفاء و الحسين شيحان، دار توبقال للنشر، المغرب، 1988.

37. زكي مبارك، الأخلاق عند الغزالي، دار الشعب للصحافة و الطباعة و النشر، القاهرة، مصر، 1924.

38. زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، دار الجيل، بيروت، د.ط، 1975، ج1.

39. عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط5، 2001.

40. السيّد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع، ضبط و تدقيق و توثيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا–بيروت–، دط، دت.

41. سيسيل دي لويس، الصورة الشعرية، ترجمة: أحمد نصيف الجنابي، راجعه: عنان غزوان إسماعيل، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1982.

42. شوقي ضيف، الفنّ و مذاهبه في النثر العربيّ، دار المعارف، القاهرة، ط10، 1983.

43. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، دار المعارف القاهرة، مصر، ط8، د.ت.

44. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني، دار المعارف، مصر، ط2، د.ت.

45. صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط3، 1987.

46. عائشة حسين فريد، وشي الربيع بألوان البديع في ضوء الأساليب العربية، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، د.ط، 2000.

47. عدنان حسين العوادي، لغة الشعر الحديث في العراق، دار الحرية للطباعة و النشر، بغداد، د.ط، 1985.

48. عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1976.

49. عمر الدسوقي، نشأة الفن و تطوره، دار الفكر العربي، بيروت–لبنان، ط2، د.ت، ج1.

50. عمر الدقاق، ملامح النثر العباسي، دار الشرق العربي، بيروت، د.ط، د.ت.

51. غانم جواد رضا الحسن، الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع للهجرة العراق و المشرق الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 2011.

52. محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي و تاريخه في العصرين الأمويّ و العباسيّ، القسم الثاني: الحياة الأدبية في العصر العباسي الأول(132–334ه)، دار الجيل، بيروت–لبنان، د.ط، د.ت.

53. محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992.

54. محمود رزق سليم، الأدب العربي و تاريخه في عصر المماليك و العصر الحديث، مطابع دار الكتاب العربي، القاهرة، د.ط، 1957.

55. مسلم حسب حسين، جماليات النص الأدبي دراسات في البنية و الدلالة، دار السياب، الأردن، ط1، 2007.

56. منصور عبد الرحمان، معايير الحُكم الجمالي في النقد الأدبي، الناشر المعارف، القاهرة، ط1، 1401ه–1981م.

57. يحي بن حمزة بن علي إبراهيم العلوي، الطراز، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت، ج2.

58. يحي بن حمزة العلوي، الطراز لأسرار البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت، ج3.

ثالثاً: المجلات و الدوريات

59. آمنة الدهري، الترسل الأدبي بالمغرب "النص و الخطاب"، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالمحمدية، المغرب، ط1.

60. حياة جاسم، وحدة القصيدة في الشّعر العربي حتى نهاية العصر العباسي، مطبعة الجمهورية، بغداد، 1972.

61. عناد غزوان، الشكل و المضمون في الشعر العربي المعاصر، منشورات وزارة الإعلام، بغداد، 1974.

62. مريم الخالدي، ناجي السعايدة، أحمد بدح، نصائح الإمام الغزالي في رسالة أيها الولد و قانون التربية و التعليم الحالي في الأردن، مجلة جامعة النجاح للأبحاث(العلوم الإنسانية)، الأردن، المجلد 29(7)، 2015.

63. عبد الواحد لؤلؤة، التناص مع الشعر الغربي، مجلة الأقلام، بغداد، العدد 12، 1994.

رابعاً: الرسائل الجامعية

64. رشا فخري النحال، فن الرسائل في العصر المملوكي دراسة تحليلية، بحث مقدم إستكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الأدب و النقد، الجامعة الاسلامية غزة، كلية الآداب، قسم الآداب و اللغة العربية، 2013-2014.

65. هند عبد الفتاح عبد التام إسماعيل، الإيجاز و الإطناب(دراسة تطبيقية في القرآن الكريم الثلث الأول)، بحث لنيل درجة التخصص الأولى(الماجستير)، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية اللغة العربية، قسم الأدبية و النقدية، 1423هـ-2002م.

خامساً: المعاجم و القواميس

66. أحمد عبد العزيز الجوهري، تاج العروس و صحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار،مطبعة بولاق، مصر، ط2، 1957.

67. جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير و آخرون، دار المعارف القاهرة، د.ط، د.ت، ج2.

68. سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1985.

69. طوني بينت–لورانس غروسبيرغ–ميغان موريس، مفاتيح إصطلاحية جديدة(معجم مصطلحات الثقافة و المجتمع)، ترجمة: سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، د.ط، 2010.

70. لويس معلوف، المُنْجِد في اللغة و الأعلام، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، د.ط، د.ت.

سادساً: المواقع الإلكترونية

71. https://al-maktaba.org/book.com

سابعاً: قناة على اليوتيوب

72. الحبيب علي الجفري، برنامج أيها المريد2، الحلقة الأولى(العقبات السبع في طريق السير إلى اللّه).

ملحق

ملحق:

❖حجة الاسلام الغزالي*:

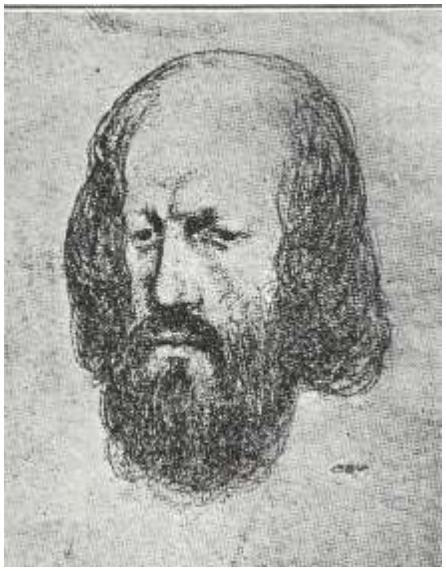

* هذه الصورة مأخوذة من كتاب الأخلاق عند الغزالي ل: زكي مبارك، تخيلها الأستاذ جبران خليل جبران.

✓ **اسمه و نسبه:**

هو الإمام الفقيه الحجة المجتهد«زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الطوسي الشافعي(...) و إمام أئمة الدين، رضي الله تعالى عنه و أرضاه»[1].

✓ **مولده و نشأته:**

«ولد الغزالي من أسرةٍ فارسية»[2]«بمدينة طوس* سنة 450هـ»[3]، «أبوه كان فقيراً صالحاً غزال صوف و كان دائماً يجلس إلى الفقهاء(...)، و يرجو الله أن يرزقه بابنٍ يشاكلهم، أما أمه فلا يعرف من أمرها شيء إلا أنها توفيت و هو صغير، أما أخوه الأكبر منه سناً، فقد انخرط في سلك الصوفية شاباً و إختلى بنفسه و دخل ببغداد و إزدحم النّاس على دروسه(...)، أما الوصي عليه و على أخيه الأكبر هذا فقد كان

*: تضبط كلمة الغزالي أما بتشديد الزاي نسبة إلى(غزال) على طريقة خراسان، و إما دون تشديد نسبة إلى (غزالة) و هي علم بلدة قرب طوس، ينظر: عبد المالك السّليماني، عُمر الدّسوقي، محمد الصادق عفيفي، الدراسات الأدبية، ج3، ص: 31.

[1] : أبو حامد الغزالي، أيها الولد، تشرفت بخدمته و العناية به: اللجنة العلمية بمركز المنهاج للدراسات و التحقيق العلمي، دار المنهاج، لبنان، ط2، 2014، ص: 14.

*: إحدى مقاطعات خراسان ببلاد الفرس، ينظر: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية، ج3، ص: 31.

[2]: زكي مبارك، الأخلاق عند الغزالي، ص: 55.

[3]: حجة الإسلام أبي حامد الغزالي، أيها الولد، اعتنى به و حققه: أبو سهل نجاح عوض صيام، دار المقطم، مصر، 2009، ص: 5.

رجلاً صوفياً وصاه عليهما أبوهما قبل موته»[1]، تتلمذ بعد أن حفظ القرآن، و تعلم مبادئ القراءة و الكتابة على الفقيه الرازكاني، ثم رحل إلى (جرجان) و درس على الشيخ الإسماعيلي، ثم رحل إلى (نيسابور) و أخذ عن إمام الحرمين أبي المعالي الجُوَيني معتمداً طريقته في التفكير الشخصي و الأدلة العقلية(...)، سافر الغزالي من نيسابور إلى العسكر و اتصل بالوزير السلجوقي و نظام الملك فتقبله بقبول حسن(...)، و في رحاب هذا الوزير صارت له شهرة في العلم و الجدل، ثم أرسله هذا الوزير إلى المدرسة النظامية التي أسسها ببغداد ليقوم بالتدريس فيها و علا كعبه، و صار إماماً بها(...)، و فجأةً إعتزل الغزالي الناس(...)، و تحول من الاشتغال بالعلوم الدنيوية إلى التصوف و الزهد. ثم جال جولة في ربوع العالم الإسلامي(مكة، القدس إلى دمشق إلى الإسكندرية...)[2].

* **طلبه للعلم:**

كان الغزالي طالب علم بمعنى الكلمة،«يعرف أن واجبه يقضي عليه بأن يعلم حفيفة كل نحلة، و كنه كل مذهب، و مقصد كل فرقةٍ، و مرمى كل عقيدةٍ»[3]، و في ذلك يقول الغزالي متحدثا عن نفسه: «و لم أزل في عنفوان شبابي منذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين إلى الآن، و قد أناف السن على الخمسين، أقتحم لجة هذا البحر العميق، و أخوض غمراته، خوض الجسور، لا خوض الجبان الحذور، و أتوغل في كل مظلمة، و أتهجم على كل مشكلةٍ، و أقتحم كل ورطةٍ، و أتفحص عقيدة كل فرقة، و أستكشف أسرار مذهب كل طائفةٍ، لأميز بين محقٍ و مبطلٍ، و متسنن و مبتدع، لا أغادر باطنياً إلّا و أحب أن أطلع على بطانته، و لا ظاهرياً إلّا و أريد أن أعلم حاصل ظهارته، و لا فلسفياً إلّا و أقصد الوقوف على كنه فلسفته، و لا متكلماً إلّا و أجتهد في الإطلاع على غاية كلامه و مجادلته، و لا صوفياً إلّا و أحرص على العثور على سر صوفيته، و لا متعبداً إلّا و أترصد ما يرجع إليه حاصل عبادته، و لا زندقياً معطلاً إلّا و أتجسسُ وراءه للتنبه لأسباب جرأته في تعطيله و زندقته. و قد كان التعطش إلى إدراك حقائق الأمور دأبي و

[1]: عبد الدّايم أبو العطا البقري، إعترافات الغزالي، دار الكتب الأهلية، القاهرة، 1943، ص: 3.

[2]: ينظر، عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية، ج3، ص: 31.

[3]: زكي مبارك، الأخلاق عند الغزالي، ص: 58.

ديدني، من أول أمري، و ريعان عمري، غريزة و فطرةً من الله تعالى وضعها في جِبِلتي، لا بإختياري و حيلتي، حتى إنحلت عنّي رابطة التقليد، و إنحسرت عنّي العقائد الموروثة على قرب عهدِ بسن الصبا»[1].

* **من معلميه:**

لقد تفقه الغزالي على يد عدد كبير من المشايخ و العلماء، و كان أولهم أخوه

الأكبر الذي أثر فيه أضد ما تأثير بسلوكه طريق الصوفية، و من ذلك أيضاً على سبيل الذكر لا الحصر: انتفع من علماء الفلاسفة أمثال: الفرابي، ابن سينا، ابن مسكويه، و من علماء التصوف أمثال: الشافعي(ت: 204ه)، المزني(ت:264ه)، حرملة(ت:243ه)، الجنيد(ت:298ه)، ينظر كتاب الأخلاق عند الغزالي لزكي مبارك.

* **من تلامذته:**

- القاضي أبو نصر الخمقري(ت544ه).
- أبو الفتح أحمد بن بَرهان(ت518ه).
- أبو منصور بن القاسم الطوسي(486ه).

و منهم الامام أبو سعيد محمد بن منصور(ولد 476ه)، و هو من أشهر تلامذة الغزالي[2].

✓ **وفاته:**

«توفى رحمه الله بطوس يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة 505ه، قال السبكي: و مشهده يزار بمقبرة الطابران»[3].

[1]: زكي مبارك، الأخلاق عند الغزالي، ص: 57-58.

[2]: ينظر: المرجع نفسه، ص: 310.

[3]: المرجع نفسه، ص: 65.

ملحق:

✓ **بعض من مؤلفاته:**

أثرى الشيخ الغزالي المكتبة الاسلامية بالعديد من الكتب التي تدل على براعته و علو منزلاه في شتى المجالات و نذكر منها[1]:

- إحياء علوم الدين.
- المنقذ من الضلال.
- الإقتصاد في الاعتقاد.
- ميزان الأعمال.
- بداية الهداية.
- فيصل التفرقة بين الإسلام و الزندقة.
- البسيط.
- الوسيط.
- الوجيز.

✓ **نبذة عن حكمه و أقواله:**

- التوحيد أن ترى الأمور كلها من الله.
- السعادة كلها أن يملك الرجل نفسه، و الشقاوة أن تملكه نفسه.
- المستقل بنفسه بغير شيخٍ، كشجرةٍ تنبت بنفسها، فإنها تجف عن قرب، و إن بقيت مدة و أورقت لم تثمر[2].

و من حكمه و أقواله التي جاءت في رسالة"أيها الولد":

- ما لم تعمل لم تجد الأجر.
- العلم بلا عمل جنون، و العمل بغير علمٍ لا يكون.
- لا تجمع من الدنيا أكثر من كفاية سنة.

[1]: ينظر، حجة الإسلام أبي حامد الغزالي، أيها الولد، ص: 14.

[2]: : ينظر، المرجع نفسه، ص: 14-15.

- لا تخالط الأمراء و السلاطين و لا تراهم، لأن رؤيتهم و مجالستهم و مخالطتهم آفة عظيمة.
- إعمل أنت بما تعلم لينكشف لك ما لم تعلم.

✓ **ثناء العلماء عليه:**

الإمام حجة الاسلام الغزالي من أبرز الشخصيات في التاريخ ، و التي تركت بصمتها خالدةً على مدى العصور و الأزمان، و قد أثنى عليه كبار العلماء و الفقهاء منهم من قال عنه:

- «قال الإمام السبكي في طبقات الشافعية في ترجمة للإمام الغزالي:...أبو حامد الغزالي حجة الإسلام، و محجة الدين التي يتوصل بها إلى دار السلام، جامع أشتات العلوم.
- و وصفه شيخه إمام الحرمين: بالبحر المغدق.
- و قال تلميذه الامام محمد بن يحي: الغزالي هو الشافعي الثاني.
- و قال الإمام النَظَّار أسعد الميهيني(ت 520ه): لا يصل إلى معرفة الغزالي و فضله إلا من يلغ أو كاد يبلغ الكمال في عقله»[1].
- و قال الدكتور سليمان دنيا: «عُرف عن الغزالي مرونته في التفكير و قدرته على التوفيق بين الآراء المختلفة، كما كان يلاطف الفُرقاء و يستعمل ألفاظهم ليكسب ثقتهم ثم ليهدم ما بنوه»[2].

❖ **رسالة "أيها الولد":**

حجة الإسلام أبو حامد الغزالي، من أبرز الشخصيات في تاريخ الفكر الإسلامي –بل العالمي أجمع– و أعظمها أثراً في حياة المسلمين العقلية و السلوكية على حدٍ سواء، و تعتبر رسالة "أيها الولد" رسالة أخلاقية صالحة لكل قارئ، «و هي رسالة صغيرة، و لكنها

[1]: حجة الإسلام أبي حامد الغزالي، أيها الولد، ص: 15-16.

[2]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية، ج3، ص: 36.

من أهم تآليفه»[1]، «و هو كتاب ذو صبغة دينية أخلاقية، يعرض حياة السالك الصوفي الذي يبحث عن الطريقة الصحيحة الموصلة إلى حظيرة الإله»[2]، قد كتبها الغزالي بطريقةٍ فنيةٍ بديعةٍ، تخلبُ العقول، و تجذب الأسماع لها، على مر العصور و الأزمان.

✓ **الكتاب شكلاً:**

الكتاب أصله فارسي،«في المخطوط رقم 79 من المخطوطات الفارسية في مجموعة جارت برنستون، و يقع في واحد و عشرون ورقة، مسطرتها عشرة أسطر، و مقاس المكتوب 15,2– 10,7سم»[3]، و أُصدرَ من طرف دار المنهاج اللبنانية لطبعته الثانية في الرابع والعشرة بعد الألف الثانية، بحجم صغير و عدد صفحاته ستٌ و تسعون صفحة.

✓ **مكانة "أيها الولد" بين آثار الغزالي الأخرى:**

"أيها الولد" رسالة جامعة في أصول التربية في الاسلام، لها تأثير في تهذيب النفوس، و تقويم السلوك، ترجمت لأكثر من لغةٍ و قام بشرحها العديد من العلماء على مر العصور و الدهور، و طُبعت مرات عدة في مختلف أنحاء المعمورة، «ذكر العلماء القدامى و المحدثون، كما ذكر المستشرقون للغزالي كتُباً أربت على المائتين، بعضها مطبوع و بعضها مخطوط، و بعضها يقع في مجلدات كبيرة، و بعضها صغير الحجم، و بعضها ترجم إلى لغاتٍ أجنبية، و بعضها ما يزال في لغته العربية أو الفارسية(...)، و من هذه المؤلفات التي نالت حظاً من الشهرة و من صحة نسبتها إلى الغزالي، و من الترجمة إلى اللغات الأجنبية هذه الرسالة، رسالة "أيها الولد"، و هي تحتل مكانةً مرموقةً بين كتب الغزالي، و تعدُّ من أهم مؤلفاته أثراً و قيمةً، بل إن بعض الفلاسفة يتجاوز هذا الحد و يجعلها أهم من كتابه (إحياء علوم الدين)(...)، و من هؤلاء الفيلسوف جورج

[1]: أحمد فؤاد الأهواني، سيرة الغزالي و أقوال المتقدمين فيه، تحقيق: عبد الكريم العثمان، دار الفكر، دمشق، 1993، ص: 207.

[2]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية، ج3، ص: 36.

[3]: عبد الرحمان بدوي، مؤلفات الغزالي، دار القلم، بيروت، ط2، 1977، ص: 255.

شيرر الذي يقول: "و لكن رسالة الغزالي القصيرة"أيها الولد"، و قد كتبها في أواخر حياته ملخصاً فيها آراءه المتعلقة بالمقصُود الأقصى من الدين تُعَدُّ أعظم أهميةً في الأغلب من الإحياء"»[1].

❖ **نسخة خطية(مخطوطة) لرسالة "أيها الولد":**

(يجدر التنويه أن كل المعلومات و المخطوطة المسماة بالنسخة (ج) ، أخذتها من كتاب أيها الولد لحجة الاسلام الغزالي، الذي تشرفت بخدمته و العناية به: اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات و التحقيق، الطبعة الثانية، 2014).

- **النسخة الثالثة(ج):** من محفوظات مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض، تحمل رقم (1547)، و هي نسخة مضبوطة مؤلفة من (23) ورقة، خطها نسخي جيد، و عدد سطور الصفحة الواحدة(13) سطراً، و عدد الكلمات في السطر الواحد (8) كلمات تقريباً و تاريخ نسخها (1123ه)[2].

[1]: عبد المالك السّليماني، و آخرون، الدراسات الأدبية ، ص: 39-40.

[2]: ينظر: أبو حامد الغزالي، أيها الولد، ص: 18.

ملحق:

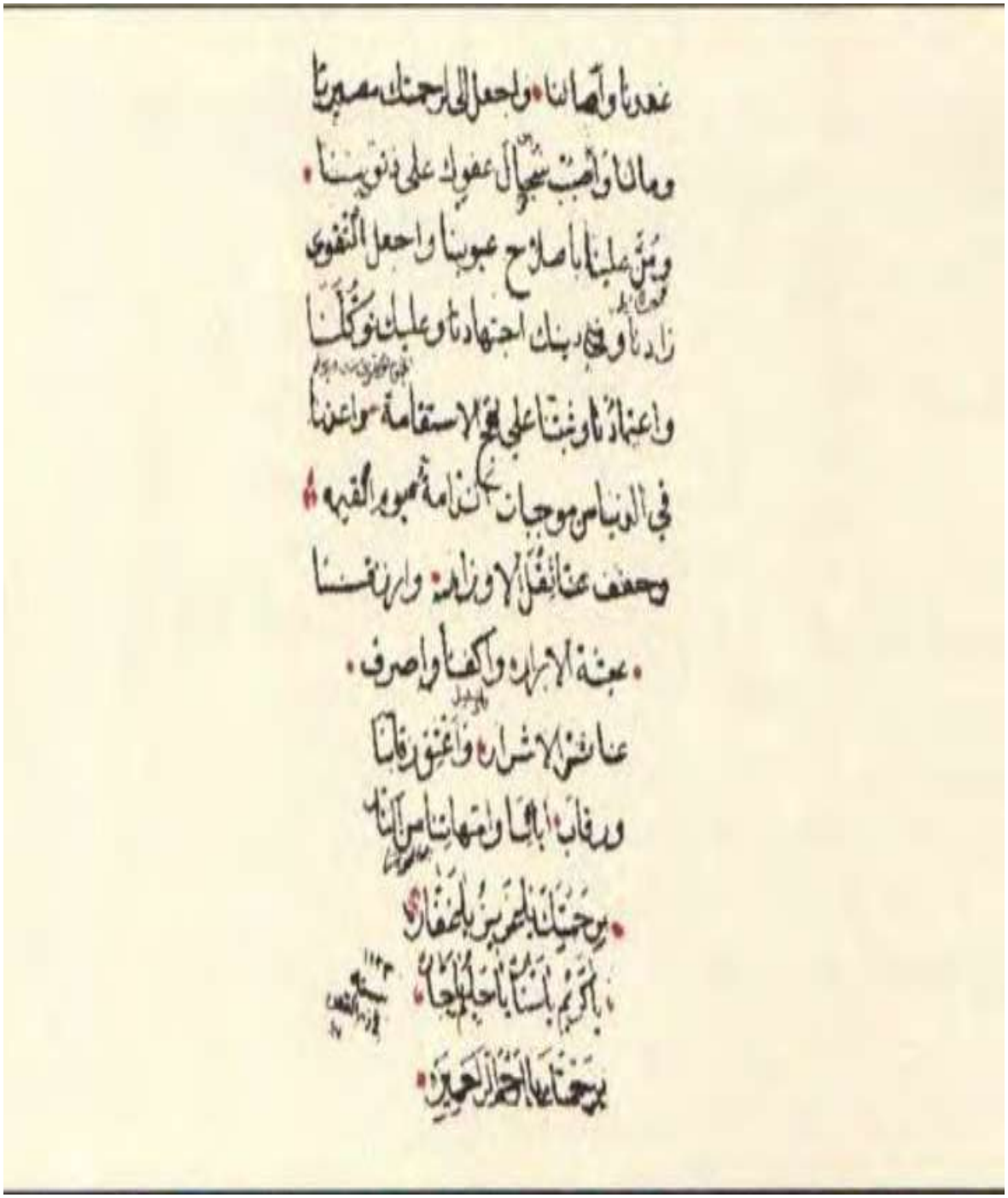

راموز الورقة الأخيرة للنسخة ج

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

البسملة

الآية

شكر و عرفان

مقدّمة .....(أ-ب-ج)

مدخل (قراءة لفنّ الرسالة في العصر العباسيّ)

أولاً: مفهوم الجماليّة 5

1. الجماليّة لغة 5
2. الجماليّة اصطلاحًا 5

ثانياً: مفهوم الرسالة 7

1. الرسالة لغة 7
2. الرسالة اصطلاحاً 8

ثالثاً: فنّ الرسالة في العصر العباسيّ 10

- ❖ الرسائل السياسية(الديوانية) 12
- ❖ الرسائل الإخوانية 13
- ❖ الرسائل الأدبية 14

الفصل الأول (جمالية الشكل و المضمون لرسالة "أيُّها الولد")

أولاً: البناء الشّكلي 19

1. الإستهلال أو الإبتداء (المقدمة) 22

أ. الإستهلال بالدعاء أو التحميد 24

فهرس المحتويات:

ب. الإستهلال بالشّعر 24

ج. بالبسملة 24

د. صيغ شائعة 24

2. عرض الرسالة 26

3. الخاتمة أو الإنتهاء 27

أ. الإختتام بالشِّعر 28

ب. الإختتام بالسَّلام 29

ج. الإختتام بالحكم و الأقوال المأثورة و الأمثال السائرة 29

د. الإختتام بالدعاء أو التضرّع و الصلاة على النّبي المقترنة بالحمد ...29

ثانياً: بناء المضمون 31

❋ النصائح الواردة في الرسالة

1. النصيحة الأولى(إبتعاد العبد عن مالا يعنيه) 33

2. النصيحة الثانية (العلم المجرد) 33

3. النصيحة الثالثة (العلم النافع) 34

4. النصيحة الرابعة (الإيمان) 35

5. النصيحة الخامسة (مُحاسبة النفس) 35

6. النصيحة السادسة (الباعث على العمل) 35

7. النصيحة السابعة (الطيور العلوية) 37

8. النصيحة الثامنة (نداء) 38

9. النصيحة التاسعة (الطاعة و العبادة) 38

10. النصيحة العاشرة (المسائل الذوقية) 38

11. النصيحة الحادي عشر (مراحل السالك) 39

فهرس المحتويات:

12.النصيحة الثانية عشر(سبيل الحق) 40
13.النصيحة الثالثة عشر(خصال التصوف) 41
14.النصيحة الرابعة عشر(العبودية) 41
15.النصيحة الخامسة عشر(التوكل) 41
16.النصيحة السادسة عشر(الإخلاص) 41
17.النصيحة السابعة عشر(الباقي من المسائل) 42
18.النصيحة الثامنة عشر(نصائح ثمان) 42
19.النصيحة التاسعة عشر(الحَثُّ على العمل بكل ما قيل سالفاً) 44

الفصل الثاني (جمالية السّمات البنائية لرسالة "أيُّها الولد")

أولاً: السّمات اللغوية و الأسلوبية 48

1. جزالة الألفاظ 48
2. الإقتباسُ و التضمين 51
1.2. الإقتباس 52
1.1.2. الإقتباس من القرآن الكريم 52
أ. الإقتباس اللفظي 52
ب. الإقتباس النصّي 53
ج. الإقتباس الإشاري(إقتباس المعنى) 55
د. إقتباس الشخصيات الدينية و القصص القرآني.....57
2.1.2. الإقتباس من الحديث النبوي الشريف 58
2.2. التضمين 59

فهرس المحتويات:

3. الإيجاز و الإطناب 61
1.3. الإيجاز 62
2.3. الإطناب 63
4. الأساليب 64
1.4. الأسلوب الخبري 65
2.4. الأسلوب الإنشائي 65
1.2.4. الإنشاء الطلبي 66
2.2.4. الإنشاء غير الطلبي 68
5. الاستشهاد 68
ثانياً: السّمات الإيقاعية 69
1. السجع 70
2. الإزدواج 71
3. التجنيس 72
1.3. الجناس التام 73
2.3. الجناس غير التام(الناقص) 74
4. الطباق أو التضاد 74
1.4. طباق الإيجاب 75
2.4. طباق السلب 76
5. التَّكرار 76
ثالثاً: السّمات التصويرية 79
1. التشبيه 79
2. الإستعارة 81

فهرس المحتويات:

3. الكناية أو الإرداف 82

الخاتمة 85

قائمة المصادر و المراجع 88

الملحق 97

فهرس المحتويات 106

الملخص 111

الملخص:

تناولت الدراسة (جمالية فن الرسالة في العصر العباسي رسالة "أيها الولد" لأبي حامد الغزالي–أنموذجاً–)، إشتملت على مُقَدِّمة و مدخل نظري (قراءة لفنّ الرسالة في العصر العباسي)، و فصلين تطبيقيين: – الفصل الأول(جمالية الشكل و المضمون لرسالة "أيها الولد")، – الفصل الثاني(جمالية السمات البنائية لرسالة "أيها الولد")، و أنهيتُ الدراسة بخاتمة أجملتُ فيها نتائج البحث، متبوعة بملحقٍ.

الهدف من الدراسة هو تسليط الضوء على أهم السمات الجمالية الموجودة في فن الرسالة في العصر العباسي، و أخذت رسالة "أيها الولد" كأُنموذجٍ مثَّل صرحاً شامخاً يحوي من الجمالية الشيء الكثير...

الكلمات المفتاحية:

الجمالية، العصر العباسيّ، فن الرسالة، أبو حامد الغزالي، رسالة "أيها الولد".

Summary:

The study dealt with (the aesthetics of the art of the message in the Abbasid era, the message “O boy” by Abu Hamid Al-Ghazali - as a model-), which included an introduction and a theoretical introduction (a reading of the art of the message in the Abbasid era), and two applied chapters: - Chapter one (the structural systems of the message “Aye”). The Boy”), the second chapter (the aesthetics of the structural features of the message “O boy”), The study ended with a conclusion summarizing the results of the research, followed by an appendix.

The aim of the study is to shed light on the most important aesthetic features found in the art of the message in the Abbasid era, and took the message "O boy" as a model that represented a lofty edifice that contains a lot of aesthetics...

key words:

The aesthetic, the Abbasid era, the art of the message, Abu Hamid Al-Ghazali, the message "Oh boy".